جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالديدامون – شرقية

الاستفهام التشويقي

في القرآن الكريم

إعداد

الدكتور: السيد إبراهيم السيد إبراهيم

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالديدامون – شرقية

E-mail: ELsaydibrahem.sha.b@azhar.edu.eg

العـــدد الحادي عشر

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

(الاستفهام التشويقي في القرآن الكريم)

السيد إبراهيم السيد إبراهيم
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، بالديدامون، جامعة الأزهر، محافظة الشرقية، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ELsaydibrahem.sha.b@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أدوات الاستفهام التي تعمل على إثارة المخاطب وتشويقه وزيادة تنبيهه إلى ما سيُلقى إليه في النَّظم الكريم، وترجع أهمية الاستفهام التشويقي إلى كونه إثارة مضاعفة؛ إذ إن الاستفهام من أهم الأساليب البلاغية التي توقظ النفس وتثير مشاعر المخاطب، كما أن التشويق هو أحد تلك الأساليب التي تبلغ بالمخاطب من ناحية التأثير العاطفي والعقلي مبلغًا عظيمًا، ومن ثم أدرك الباحث أهمية ذلك الأسلوب وقيمته الكبرى في النظم الكريم.

وقد اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ لمناسبته موضوع الدراسة، وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، واشتمل التمهيد تعريف الاستفهام وقيمته في الدرس البلاغي، وكذلك ماهية التشويق وأهميته في محيط الدراسات المختلفة، ثم قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان (التشويق عن طريق الاستفهام بـ "هل")، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان: (التشويق عن طريق الاستفهام بـ "الهمزة")، ثم جاء المبحث الثالث بعنوان (التشويق عن طريق أسماء الاستفهام)، وانتهى البحث بخاتمة اشتملت أهم النتائج والتوصيات.

وكان من أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث: أن أشهر صيغ الاستفهام التي جاءت لغرض التشويق في النظم الكريم هي: (هل) التي بعدها فعل الإتيان، و(هل) التي بعدها فعل الدلالة، و(هل) التي بعدها فعل التنبيء، ثم التشويق بـ (الهمزة) التي بعدها فعل التنبيء، والتشويق بـ (الهمزة) التي بعدها فعل الرؤية، كما جاء التشويق بأسماء الاستفهام مثل: التشويق بـ (مَن، وما، وكيف، وأي).

كما أوصى البحث بدعوة مصابيح الهدى إلى التأسِّي بأساليب القرآن في دعوتهم إلى الله تعالى؛ فهو كتاب الدعوة الأول.

الكلمات المفتاحية: بلاغة - الاستفهام - التشويقي - القرآن - الكريم.

(Suspenseful Interrogation in the Qur'an)

Elsayed Ibrahim Elsayed Ibrahim
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Baldidamon, Al-Azhar University, Sharqia Governorate, Egypt.
E-mail: ELsaydibrahem.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to uncover the interrogative tools that serve to excite the addressee and increase his alertness to what will be delivered to him in the Holy Qur'an. The importance of the interrogative is due to the fact that it is a double excitement.

This research came in an introduction, preface, three investigations, conclusion, and indexes. The preface included the definition of interrogation and its value in the rhetorical lesson, as well as what is suspense and its importance in the context of various studies, then I divided the research into three investigations, the first research came under the title (suspense through interrogation with "is"), the second research came under the title: (suspense through interrogation with "Hamza"), then the third research came under the title (suspense through interrogative nouns), and the research ended with a conclusion that included the most important finding and recommendations.

One of the most important findings of the research was: The most famous interrogative formulas that came for the purpose of suspense in the Holy Quran are: (Is) after the verb of coming, (Is) after the verb of indication, (Is) after the verb of prediction, (Is) after the verb of prediction, (Hamza) after the verb of prediction,

(Hamza) after the verb of seeing, and (Hamza) after the verb of seeing, as well as interrogative nouns such as: (who, what, what, how, how, and what).

The research also recommends inviting lamps of guidance to follow the methods of the Qur'an in inviting them to God Almighty; it is the first book of invitation.

Keywords: Interrogative - Questioning - Suspense - Qur'an - The Holy Qur'an.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي وعد عباده المتقين بجنَّته، وزادهم فَضلًا ونَعيمًا بالشَّوقِ إلى رُؤْيَته، والصلاة والسلام على من تشتاق القلوبُ إلي شَرْبةٍ هنيئةٍ مَريئةٍ من يَدِه، صلوات رَبِّي وسلامه عليه وعلى آلهِ وصَحْبِه وذُريَّتِهِ، ومن سار على نهجه واهتدى بهديه واسْتَنَّ بسُنَّته.

أمَّا بعد :

فلا ريب في أن القرآن الكريم هو أحسن الحديث، وهو كتاب الدعوة الأول، والمفتاح الذي يُستَفْتح به طريق الهداية، ومغاليق القلوب، وأن من آكد وجوه إعجازه هو التأثير البالغ في النفوس وجذب الأفئدة والعقول، وأن من أدقِّ خصائص الدعوة إلى الله (ﷻ) أنها تقوم على التأثير في المخاطب واستمالته وتقريبه؛ وتلك أيضًا هي غاية البلاغة التي تسعى إلي التأثير في النفس الإنسانية واستمالتها؛ لبلوغ غرض المُخاطِبِ بها.

وترجع أهمية الاستفهام التشويقي إلى كونه إثارةً مضاعفةً؛ إذ إن الاستفهام من أهم الأساليب البلاغية التي توقظ النفس وتثير مشاعر المخاطب، كما أن التشويق هو أحد تلك الأساليب التي تبلغ بالمخاطب من ناحية التأثير العاطفي والعقلي مبلغًا عظيمًا، ومن ثم أدرك الباحث أهمية ذلك الأسلوب وقيمته، فحاول من خلال ذلك البحث النهوض بتجلية جانب التشويق في أسلوب الاستفهام في النَّظْمِ الكريم، والذي وَظَّفه النَّظْم في بعض المقامات والسياقات؛ لغرض إثارة المُخاطب، وتهيئته لتَلَقِّي المعنى المراد.

وكان مما دفعني لاختيار موضوع (الاستفهام التشويقي في القرآن الكريم) أسباب عدة ومقاصد خاصة، أوجزها فيما يلي :

أولًا: الأهمية الكبرى لعنصر التشويق في الكلام؛ لأن إثارة المُتلقِّي وبَعْثَ فِكْرِه مما يُرسِّخ الكلام في النفوس، ويدفع المخاطَب إلى الاستجابة، ويُعينه على فعل المطلوب.

ثانيًا: أن هذا الموضوع مع أهميته وقيمته لم يَحظَ بدراسة مستقلة تُجلِي مفهومه، وتبرز أهم أدواته، وصيغه، ومقاماته، ومن ثم كان في حاجة إلى دراسة مفصَّلة تُوضِّح ذلك.

ثالثًا: أن دراسة هذا الغرض البلاغي من خلال النظم القرآني يكسبه قدرًا كبيرًا من السمو والدِّقة، إذ إن مثل هذه الدراسات تكشف عن بعض مناحي الإعجاز القرآني في التأثير في النفوس البشرية، وامتلاك قلوب القارئين والسامعين.

أمَّا عن الدراسات السابقة لهذه الدراسة فلم أجد -فيما أعلم- من يُفرد لدراسة الاستفهام التشويقي في القرآن الكريم بحثًا خاصًا، غير أن هناك دراسات عديدة قد عنيت بأسلوب الاستفهام بصفة عامة في النظم الكريم، وكان من أشهرها (أساليب الاستفهام في القرآن)، للدكتور/ عبد العليم السيد فودة، وتعدُّ دراسة إحصائية لأساليب الاستفهام، وأدواته، وما تدل عليه من معانٍ وأغراض، وكذلك (التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم)، للدكتور/ عبد العظيم المطعني، وهي دراسة موضوعية قيِّمة شملت كل مواضع الاستفهام في النظم الكريم، وتعدُّ مرجعًا أصيلًا لكل باحث يتعرض لدراسة أساليب الاستفهام وأدواته في القرآن الكريم، كما أفرد أستاذنا الدكتور/ صباح دراز (التشويق) كأحد أغراض الاستفهام في نحو سبع صفحات في كتابه القيِّم (الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم)، ومن ثم فقد جاءت بعض اللفتات والإشارات للاستفهام التشويقي في تلك الدراسات، وقد استأنس البحث ببعضها، واستعان من قبل بكتب التفاسير صاحبة الاتجاه البلاغي، أما عن دراسة التشويق خاصة في النظم الكريم، فقد جاءت دراسة تحت عنوان (أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم)، للدكتور/ الحسين جرنو محمد جلو، وهي دراسة تربوية إسلامية عُنِيَت بهذا الجانب التَّربوي المهم في القرآن الكريم، ولا علاقة لها بالدراسات البلاغية من قريب أو بعيد.

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، واشتمل التمهيد تعريف الاستفهام وقيمته في الدرس البلاغي، وكذلك ماهية التشويق وأهميته في محيط الدراسات المختلفة، ثم قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان (التشويق عن طريق الاستفهام بـ "هل")، واشتمل ثلاثة مطالب، الأول: (هل) بعدها فعل الإتيان، (هل أتاك - هل أتى)، والثاني: (هل) بعدها فعل الدلالة، (هل أدلك - هل أدلكم)، والثالث: (هل) بعدها فعل التنبيء، (هل أنبئكم - هل ننبئكم). وجاء

المبحث الثاني تحت عنوان: (التشويق عن طريق الاستفهام بـ "الهمزة")، وانقسم إلى مطلبين، الأول: التشويق بـ (الهمزة) بعدها فعل التنبيء، (أؤنبئكم - أفأنبئكم)، والثاني: التشويق بـ (الهمزة) بعدها فعل الرؤية، (ألم تر- أرأيت)، ثم جاء المبحث الثالث بعنوان (التشويق عن طريق أسماء الاستفهام)، واشتمل أربعة مطالب، الأول: التشويق بـ (مَن)، والثاني: التشويق بـ (ما)، والثالث: التشويق بـ (كيف)، والرابع: التشويق بـ (أي)، وانتهى البحث بخاتمة اشتملت أهم النتائج والتوصيات، ثم ثبت المصادر والمراجع.

وقد التزم البحث في معالجة موضوعه المنهج الوصفي التحليلي؛ لمناسبته موضوع الدراسة.

وبعد فلله (ﷻ) الحمد والمنَّة أن جعلني أحظى بشرف خدمة كتابه والجلوس على مأدبته، وأسأله (ﷻ) أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وإن يكن من توفيق فمنه وحده صاحب الفضل والكرم، وإن يكن من زلَّة قدم أو عثرة قلم، فأسأله (ﷻ) العفو، إنه واسع المغفرة.

التمهيد

ويشتمل أمرين:

الأول: تعريف الاستفهام وقيمته في الدرس البلاغي.

الثاني: (التشويق) ماهيته وأهميته في محيط الدراسات المختلفة.

تعريف الاستفهام وقيمته في الدرس البلاغي

أولًا: تعريف الاستفهام:

الاستفهام في اللغة: هو طلب الفهم، مأخوذ من مادة (فَهم)، والفهم: معرفتك الشيء بالقلب، والعلم به، يقال: فهمت الشيء، أي: عقلته وعرفته، وتفهَّم الكلام، أي: فهمه شيئًا بعد شيءٍ(١).

واصطلاحًا: معناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، لا على جهة الإيجاد والتحصيل كما هو الحال في أسلوب الأمر(٢).

وقيل هو: "طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"(٣)، ذلك هو المعنى الحقيقي للاستفهام، وقد ذكر البلاغيون لأسلوب الاستفهام أغراضًا بلاغية يخرج إليها، منها غرض التشويق، الذي هو محل الدراسة، نسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

ثانيًا: قيمة الاستفهام في الدرس البلاغي:

من أهم ما تمتاز به الأساليب الإنشائية، أنها تعمل على إثارة المتلقِّي، وجذب انتباهه، والتأثير فيه، ومن أهم تلك الأساليب الإنشائية الراقية أسلوب الاستفهام الذي يُوقِظ النفس ويَشحذُ الفِكْر ويُثِير المشاعر، إذ إنه أسلوب لا يعتمد المنهج العقلي المُجرَّد، بل يغلب عليه شحن الوجدان وإثارة العواطف، فهو أسلوب وجداني بالدرجة الأولى(٤)، ومن ثَمَّ كان

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)، ٤/ ٤٥٧، ولسان العرب، لجمال الدين بن منظور، (دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ)، ١٢/ ٤٥٩، مادة (فهم).

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلويّ، (المكتبة العصرية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٣هـ)، ٣/ ١٥٨.

(٣) المطول، شرح تلخيص المفتاح، للتفتازاني، ت: د/ عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: ١، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م)، ص: ٤٠٩.

(٤) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د/ صبَّاح دراز، (مطبعة الأمانة، مصر، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ، ص: ١٠٧.

التشويق من أهم المعاني المتولِّدة عن المعنى الحقيقي للاستفهام، وأكثرها علقة وأشدها التصاقًا، وذلك بمعونة السياق والقرائن.

وإفادة الاستفهام للتشويق، وغيره من المعاني الأخرى، هو من قبيل مستتبعات التراكيب؛ إذ إن السياق وقرائن الأحوال هي التي تحدد تلك المعاني المرادة؛ فلا داعي للخوض في التماس علاقات ضعيفة واهية بين تلك المعاني وبين أساليب الإنشاء -ومنها الاستفهام-؛ وذلك لعدم وضوحها في كثير من الأحيان(١).

والاستفهام فن عظيم من فنون القول يكشف عن خبيئات المعاني ودقائق الأسرار، ويعرضها عرضًا رائعًا يحمل نفس المتلقِّي على الانتشاء، والمشاعر على التوقُّد، والقلوب على اليقظة، والعواطف على الاستمتاع، والعقول على الإقناع..."(٢).

ومنشأ إيقاظ الاستفهام للنفس، وشحذه للفكر، وإثارته للمشاعر، ما ينضوي عليه من حيرة واستكشاف، "فالسؤال وقود المعرفة الذي يدفعها نحو التوثُّب والارتقاء، فمن سلك سبيل المعرفة لا سبيل إلى مُضيِّه بقدم راسخة في هذه الطريق بمعزل عن السؤال، وهو وإن كان يعكس فوران العقل وعدم استقراره، كما يعكس حرارة الشك ووهج البحث، فإنه السبيل إلى برد اليقين..."(٣).

ولذلك احتلت دراسة الاستفهام عند الدارسين منزلة الثريا، فرصد البلاغيون صوره، وحدَّدوا أغراضه، وقنَّنوا دلالته ومعانيه، وأخذ النقاد في الكشف عن أثره في أجناس الأدب وفنون التعبير الراقي(٤).

---

(١) ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، د/ بسيوني فيود، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص: ٢٩٨.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د/ عبد العظيم المطعني، (مكتبة وهبة، ط: ١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م)، ١/ ٣.

(٣) أسلوبية السؤال، د/ عيد بلبع، (دار الوفاء، المنصورة، ط: ١، ١٩٩٩م)، ص: ٩.

(٤) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ٣.

(التشويق) ماهيته وأهميته في محيط الدراسات المختلفة.

أولًا: ماهية التشويق:

التشويق في اللغة: مصدر للفعل شَوّق يُشوّق، مأخوذ من (شَوَقَ)، والشين والواو والقاف أصل يدل على تَعلُّق الشيء بالشيء، يقال: شاقَ الطُّنُبَ إِلَى الْوَتِدِ شَوْقًا: مدَّه إليه فأَوثقه به، واسم ذلك الخيط الشياق، والشِّيقُ والشِّيَاقُ: كالنِّياط انْقَلَبَتِ الْوَاوُ فِيهَا يَاءً لِلْكَسْرَةِ، والشَّوق، وهو نزاع النفس إلى الشيء، ويقال: شاقني يشوقني، وذلك لا يكون إلاّ عن عَلَقِ حُبّ[1].

وأضاف صاحب (لسان العرب) إلى ذلك المعنى أن الشَّوْق: حركة الهوى، والشُّوق: العشَّاق، ويقال: شُق شُق، إذا أمرته أن يُشوِّق إنسانًا إلى الآخرة.

وشاقني شوقًا، وشوَّقني: هاجني فتشوَّقت، إذا هيَّج شوقك، ويقال منه: شاقني حُسْنُها وذِكْرها يشُوقني، أي : هُيِّج شوقي[2].

ومن ثم فإن التشويق يحمل معاني التهييج، والترغيب، والحثّ، والإثارة، ونزاع النفس، أي: ميلها إلى الشيء، ومعنى قول ابن فارس: إن الشَّوقَ لا يكون إلا عن عَلَقِ حُب، أي إن كلّ ما حَبّب إلي شيء، أو أثار النفسَ نحوه، فقد شَوّق إليه.

أما التشويق اصطلاحًا: فقد عرَّفه علماء النفس بأنه "توجيه السلوك وضبطه داخليًا بواسطة الشروط الفيزيولوجية، والاهتمامات والمواقف والآمال، ومثله الإثارة والحفز"[3]، أي إنه بمنزلة الحافز الذي يُقدَّم قبل السلوك المطلوب؛ ترغيبًا في القيام به، بحيث يثير الانتباه والاهتمام به في نفس المخاطب، ويدفعه إلى مباشرته، وذلك إمَّا بتقديم الحافز فعلًا، أو بربطه بالسلوك على سبيل الاشتراط مثلًا[4].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢٢٩. ولسان العرب، ١٠/ ١٩٢، مادة: (شوق).

(٢) ينظر: لسان العرب، ١٠/ ١٩٢، مادة: (شوق).

(٣) معجم علم النفس، د/ فاخر عاقل، (دار العلم للملايين، بيروت، ط : ٣، ١٩٧٩م)، ص: ١٤.

(٤) ينظر: أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، د/ الحسين جرنو محمود جلو، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١هـ - ١٩٩٤م)، ص: ٣٠.

ثانيًا: التشويق وأهميته في محيط الدراسات المختلفة

أولًا: التشويق في محيط الدراسات البلاغية:

لا يُعدُّ التشويق لونًا من ألوان البلاغة العربية المعروفة، بل هو غرض من أغراضها التي تناسب المقام الواردة فيه، فإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فإن هناك من المقامات والسياقات التي تقتضي تشويق المخاطب وإثارته.

فقد جعل الإمام عبد القاهر الجرجاني التشويق غايةً وغرضًا، للتمثيل الغريب، حين قال: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيْله أحلى، وبالمزيّة أَوْلى، فكان مَوقِعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف، ولذلك ضُرِب المَثَل لكل ما لطف موقعه ببَرَد الماء على الظمأ"(١).

كما علَّل السكاكي إيراد المضمر موضع المظهر، وهو أحد صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر بأنه أسلوب يأتي في الكلام؛ "ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه وذلك أن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتظرًا لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن المسموع بعده فضل تَمكُّنٍ في ذهنه، وهو السِّرُ في التزام تقديمه ..."(٢).

ثم يأتي الخطيب القزويني؛ ليستفيض في بلاغة التشويق وقيمته، حين تحدَّث عن فوائد الإيضاح بعد الإبهام، الذي هو أحد صور الإطناب، فذكر أن الإيضاح بعد الإبهام يأتي؛ "ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تَمكُّن، فإن المعنى إذا أُلقى على سبيل الإجمال والإبهام تَشوَّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجَّه إلى ما يَرِد بعد ذلك، فإذا أُلقي كذلك تمكَّن فيها فضل تَمكُّن، وكان شعورها به أتم..."(٣).

---

(١) أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني ، ت: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، ص: ١٠٦.

(٢) مفتاح العلوم، للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط : ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص: ١٩٨.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، (دار إحياء العلوم – بيروت ، ط: ٤، ١٩٩٨م)، ص: ١٨٦.

وكثيرة هي تلك الأساليب البلاغية التي يكون غرضها تشويق المخاطب إلى المراد من الكلام؛ حتى يستقر في نفسه ويرسخ في ذهنه، ويأتي على رأسها الاستفهام التشويقي محل الدراسة، والذي يُعدُّ إثارة ولفتًا مضاعفًا.

ثانيًا: التشويق في محيط الدراسات القرآنية:

المُتأَمِّل في النَّظم الكريم يَجِد أن مادة (شوق) ومشتقاتها، ومنها (التشويق) لم تَرِد صريحة في القرآن الكريم.

إلا أن المفسرين (عليهم من الله سحائب الرحمة والرضوان)، قد أوردوا في كتبهم لفظ التشويق كثيرًا، وكذلك بعض الألفاظ التي تقترب في دلالتها من لفظ (التشويق)، مثل: اللفت، والإثارة، والإغراء، والإيقاظ، وغيرها، وكانت هذه المواضع خيرَ مُعينٍ للباحث على الوقوع على ذلك الغرض البلاغي للاستفهام، وبيان صيغه، ومقاماته.

ثالثًا: التشويق في محيط الدراسات النفسية والتربوية :

إن أفضل مَعِين يُستمد منه معرفة النفس الإنسانية، وكيفية التعامل معها هو كلام الله (ﷻ)، الذي خلق الإنسان فسواه فعدله، فهو (ﷻ) الأعلم بطبيعة تلك النفس وأسرار تكوينها، وإذا كان علم النفس يُعْنى بمعرفة حقيقة النفس البشرية، وكيفية التعامل معها، فإن التشويق هو أحد تلك الطُرق والكيفيات التي تجذب النفوس، وتُثبِت فيها الكلام.

وقد أشار علماء التربية إلى الأهمية الكبيرة للتشويق في توجيه سلوك الإنسان؛ "وتكون أكبر في توجيه العملية التربوية، التي تتناول الإنسان بجميع جوانبه النفسية والعقلية والعاطفية والإدراكية، وتتعامل مع قواه العقلية، وتعنى بتنمية هذه القوى، وتهذيب فعالياتها، وتهدف إلى إكسابه مهارات فكرية وحركية تتَّسم بالنظام والإيجابية"[1].

ولأن الخطاب القرآني هو خطاب جاء لإصلاح العالم، والسعى لاستمالة الناس جميعًا وإقناعهم بدين الله الحق، كان من المُهمِّ أن يأتي هذا الخطاب مُوجَّهًا إلى الإنسان بجميع جوانبه، وهذا ما أشار إلى أهميته صاحب كتاب (أسلوب الدعوة القرآنية)، فى قوله: "إن

---

(١) أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، ص: ٢٥.

علينا أن نلتقي بالإنسان في قواه المختلفة، وأن نتعامل معها جميعًا، نتعامل مع العقل بما له من قوة الإدراك والتمييز، ونتعامل مع الوجدان باعتباره وعاء الأحاسيس والمشاعر التى تنشأ عن التأثير بما يسر ويؤلم، ونتعامل مع الإرادة باعتبار ما تتخذه من قرارات هو النتيجة النهائية لاستجابتها أو رفضها للدعوة، ذلك أن الصفات النفسية للإنسان مرتبط بعضها ببعض، ويؤثر بعضها في بعض، والإيمان هو حالة نفسية، مرتبط بالجوانب النفسية كلها، يتأثر بها ويؤثر فيها"[١].

ومن ثّم فقد جاء النظم الكريم مشتملًا على كثير من أساليب التشويق، ومنها الاستفهام التشويقي؛ نظرًا إلى الحاجة الماسَّة لتحقيق مثل هذه الأهداف الحيوية؛ لأنها لا تُحقَّق إلا بالتعلُّم، ولا تعلُّم دون حافز؛ إذ لا يحدث سلوك دون دافعٍ يثيره، أو مُشوِّق يُزيد الرغبة فيه، ويحثُّ على القيام به[٢].

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية، بلاغة ومنهاجًا، د/ محمد عبدالغني بركة، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط : ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص: ٣١.

(٢) ينظر: أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، ص: ٢٥.

المبحث الأول

التشويق عن طريق الاستفهام بـ (هل)

وينقسم إلى ثلاثة مطالب:

١ـ (هل) بعدها فعل الإتيان، (هل أتاك ـ هل أتى).

٢ـ (هل) بعدها فعل الدلالة، (هل أدلك ـ هل أدلكم).

٣ـ (هل) بعدها فعل التنبيء، (هل أنبئكم ـ هل ننبئكم).

□

المطلب الأول

(هل) بعدها فعل الإتيان، (هل أتاك - هل أتى)

مما يلحظ في الاستفهام التشويقي بـ (هل) أنها تدخل على فعل يدعم التشويق بصيغته؛ بصيغته؛ حيث دخلت على الأفعال: (أتى - أدلُّ - أُنبِيء)[1].

وقد ورد التشويق بـ (هل) الواقع بعدها فعل الإتيان في سبعة مواضع في النظم الكريم، وجاءت كلها في مفتتح قص أو أخبار، أُريد بها تشويق لسامع وجذب انتباهه لما بعدها.

ـــ ومن ذلك ما جاء في سياق الحديث عن قصة موسى (عليه السلام)، في قوله (تعالى): ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩﴾ [طه: ٩] .

في هذه الآية الكريمة يشوِّق رب العزة (تعالى) نبيه محمدًا (ﷺ) إلى سماع قصة سيدنا موسى (عليه السلام)، وما كان من حديث بينه وبين ربه (تعالى)، وكذلك ما كان بينه وبين فرعون (لعنه الله).

مع أن الفخر الرازي (رحمه الله) قد حمل الاستفهام هنا على التقرير، أي: تقرير الجواب في قلب النبي (ﷺ)، إلا أنه ذكر أن وروده بهذه الصيغة أبلغ؛ وذلك حتى يتطلع السامع إلى معرفة ما يرمي إليه، فهو نحو قول المرء لصاحبه: هل بلغك خبر كذا؟[2]، ومن ثم فإنه تقرير فيه إثارة لذهن السامع وتشويقه.

ويرى صاحب كتاب (البحر المديد) أن الاستفهام في مثل هذا المقام مستعمل في التشويق لما يُلقى إليه (ﷺ) من خبر موسى (عليه السلام)، والمعنى: هل أتاك حديثه؟، إن لم يأتك فسأُخبرك به، وإن كان قد تقدّم قبل هذا حديثه، وهو المتبادر فالمعنى: أليس قد آتاك حديثه؟[3]، ومن ثَمَّ يكون المراد بالاستفهام هنا التقرير، وقد ذهب الطاهر بن عاشور (رحمه الله) إلى أن الاستفهام هنا محمول على التشويق وإثارة الذهن إلى الخبر، سواء

---

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٦٩.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (دار الكتب العلمية بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ)، ٢٢/ ١٣.

(٣) ينظر: البحر المديد، لابن عجيبة، (دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ)، ٨/ ٣٥١.

أكانت قُصَّت هذه القصة على النبي (ﷺ) أم لم تُقصَّ عليه[1]، وهذا التوجيه هو ما يؤيده الباحث، خاصة أن ما ورد بعد ذلك الاستفهام قصة، وإن من أهم وسائل حسن التلقِّي وتمكُّن المعاني في الوجدان، هو توفُّر النشاط الذهني والنفسي[2]، وهو مما يقوم به أسلوب الاستفهام في مثل ذلك المقام.

ومما يُلحظ في صيغة الاستفهام في هذه الآية إيثار الفعل (أتى) على سائر الأفعال التي تقاربه في الدلالة، مثل: جاء، وغيرها؛ وذلك لأن (الإتيان) هو المجيء بسهولة ويسر، ومن ثم فالمجيء أعم منه، كما أوثر لفظ (حديث)؛ للإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي يتناقلها الرواة ويتنافس في حفظها الوعاة في كل زمان ومكان، كما أن لفظ الحديث وإن كان عامًا في دلالته، إلا أنه ورد في النظم الكريم فيما له شأن وخطر؛ حيث أُطلق على القرآن، كما جاء في قوله (ﷻ):﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٤]، وأُطلق –ايضًا- على ما يتناقله الرواة من العجائب، كما جاء في قوله (ﷻ) حكاية عن سبأ:﴿ .....فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٩][3].

وتكمن قيمة التشويق بالاستفهام - في هذا المقام- في أن الله (ﷻ) لمَّا نادى نبيه (ﷺ) في أول سورة طه؛ ليُخفِّف عن نفسه من أعباء دعوة قومه إلى الله (ﷻ) ومعاناته في سبيل إيمانهم بربهم، وأنه ما عليه إلا التذكير والبلاغ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [طه: ١:٣]، جاءت هذه القصة؛

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/ ١٠١.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٢/ ٣٠٠.

(٣) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧٣.

تسلية للنبي (ﷺ)، وبعثًا للطمأنينة في قلبه (ﷺ)، وتثبيتًا له على طريق الدعوة، وتخفيفًا من وطأة المعاناة وعثرات الطريق وشدَّته.

ومما زاد من التشويق في هذا المقام بعد افتتاح القصة بالاستفهام التشويقي، اختصاص هذا الظرف بالذكر في قوله (ﷻ):﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه: ١٠]؛ حيث إن رؤية النار تحتمل أحوالاً كثيرة، فكان فيه مزيد تشويقٍ إلى استعلام كُنْه الخبر(١).

ونظير هذه الآية في كتاب الله (ﷻ) قوله (ﷻ):﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤]، وقوله (ﷻ):﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [النازعات: ١٥]، وقوله (ﷻ):﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ [البروج: ١٧].

ـــ ومن التشويق عن طريق الاستفهام بـ (هل) الواقع بعدها فعل الإتيان، ما جاء في قوله (ﷻ):﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١].

ذكر سفيان وجمهور من المتأولين أن الغاشية هي: القيامة، وسُمِّيت بذلك؛ لأنها تغشى العالم كله بهولها وتغييرها لبنيته، وذهب ابن جبير ومحمد بن كعب إلى أن الغاشية هي: النار، إلا أن القول الأول مؤيد بما جاء بعد الآية الاولى في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ [الغاشية: ٢](٢)؛ حيث ذكر الله (ﷻ) أهوال ذلك اليوم وأحوال الناس فيه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/ ١٠١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ)، ٥/ ٤٧٢، والبحر المحيط، لأبي حيان، ت: صدقي محمد جميل، (دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠ه)، ١٠/ ٤٦١.

وذكر ابن عطية (رحمه الله) في إفادة الاستفهام هنا أقوالًا، ولم يُرجِّح بينها، فذكر أن (هل) هنا بمعنى (قد)، وقيل إن المعنى (هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك؟)، وقال إن في هذا التأويل تعديدًا للنعمة، ثم ذكر قوله: "وقال الحذاق: هي على بابها توقيف، فائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر"[1]، ولعل في وصفه لأصحاب ذلك القول ميلًا لقولهم وتوجيههم.

وقد أكَّد الطاهر بن عاشور ذلك التوجيه؛ حيث ذكر أن الاستفهام هنا مستعمل في التشويق إلى معرفة هذا الخبر؛ وإثارة الرغبة في التطلُّع إليه، والبحث عن جواب له؛ لما يَترتَّب عليه من موعظة بالغة، وأُوثِر حرف (هل) -من بين أدوات الاستفهام- في هذا المقام؛ لما فِيه من معنى التَّحقيق؛ لأنَّ (هل) في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار، وفي هذا مزيد تشويق، فهو كناية عن أهمية ذلك الخبر، بحيث من شأنه أن يكون قد بلغ السامع[2].

كما أن (الإتيان) هنا في قوله (ﷺ): (أتاك) مستعارٌ لفشو الحديث وانتشاره، وفي إسناد الفعل (أتى) إلى (حديث)، مجاز عقلي أسند فيه الفعل إلى مفعوله؛ حيث إن الحديث لا يأتي وإنما يُؤتى به، ويمكن حمل الجملة على الاستعارة المكنية؛ حيث شبَّه فيها ذلك الحديث؛ -لأهميته وعلو شأنه- بالعاقل صاحب القدرة والإرادة على الإتيان؛ اعتناءً به[3].

والغاشية هنا صفة لموصوف محذوف يدل عليه السياق يمكن تقديره: هل أتاك حديث الأهوال الغاشية يوم القيامة؟، ففي ذلك الموصوف المحذوف، إبهام لزيادة التشويق إلى بيانه الآتي؛ حتى يتمكَّن الخبر في الذهن كمال تَمكُّن، كما أن الغشيان هنا مستعارٌ لسيطرة أهوال ذلك اليوم على أهل الموقف وغمرها إياهم، أو مستعارٌ لغيبوبة العقول وذهولها يوم القيامة، مما ترى من أهوال وغرائب[4].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ٥/ ٤٧٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦١.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٢/ ٣٠٠.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦١، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٢/ ٣٠٠.

ولا يخفى ما في هذه المبالغات المتمثلة في المجاز العقلي، والاستعارة، والإبهام عن طريق حذف الموصوف، من جذب وإثارة لانتباه السامعين، وغاية ذلك اللفت والتنبيه هو بيان أهوال ذلك اليوم العظيم، وما فيه من عقاب للمسيئين، وثواب للمحسنين.

وبذلك استطاع النظم القرآني في مفتتح السورة الكريمة، من خلال أربع كلمات فقط، الأخذ بمجامع ألباب السامعين، فسبحان من هذا كلامه.

ـــ ومن شواهد التشويق بـ (هل) الواقع بعدها فعل الإتيان، إلا أنه جاء في هذا الموضع لغير معين، ما جاء في فاتحة سورة الإنسان، في قوله (ﷻ):﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١].

ذهب أكثر المتأولين إلى أن (هل) هنا للتقرير، أي: حمل السامع على الإقرار بما دخلت عليه، والمقرر به من ينكرون البعث وقد علم أنهم يقولون: نعم قد مضى على الإنسان حين لم يكن كذلك، فيقال لهم: فالذي أوجده من عدم، كيف يمتنع عليه إحياؤه بعد موته[1].

وانفرد البقاعي (رحمه الله) بحمل هذا الاستفهام على الإنكار، على معنى أنه يترك سدى، أي: ليس الأمر كذلك، بل ما أتى عليه شيء من ذلك بعد خلقه إلا وهو فيه شيء مذكور، وهو رأي عجيب غريب؛ إذ إن الآية الكريمة تومىء إلى أزمنة سبقت خلق الإنسان وكان عدمًا، مثل قول الله (ﷻ) لزكريا (عليه السلام):﴿...خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[2] [مريم: ٩].

إلا أن تقديم الاستفهام في صدر السورة فيه تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام، فهو بمنزلة التمهيد والتوطئة للجملة التي بعده، وهي قوله (ﷻ):﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧هـ)، ٤/ ٦٦٥، والمحرر الوجيز، ٥/ ٤٠٨، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، (دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ)، ٢٩/ ١٥٠.

(٢) ينظر: نظم الدرر، ٨/ ٢٥٩، ٢٦٠، والأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ١١٨.

﴿ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]، وهي استئناف بياني مترتب على التقرير الذي دلَّ عليه الاستفهام في الآية الأولى؛ لما فيه من التشويق؛ إذ إن التقرير هنا يقتضي الإقرار بذلك لا محالة؛ لأنه معلوم بالضرورة، ومن ثم يتشوَّف السامع لما يرد بعد هذا التقرير، فقيل له إن الله خلقه بعد أن كان معدومًا، فثبت بذلك تعلُّق الخلق بالإنسان بعد عدمه(١)، فالاستفهام هنا وإن كان يفيد التقرير والتحقيق إلا أن فيه لفتًا للنظر إلى ما في الأسلوب من عِبرٍ تثير تأمل السامعين(٢)، وبذلك يقرُّ المعنى ويثبت في نفس المتلقين، من خلال ذلك الأسلوب التشويقي المثير.

ـــ كما جاء الاستفهام التشويقي بـ (هل) الواقع بعدها فعل الإتيان، مردوفًا بلفظ (نبأ)، وليس (حديث)، كما جاء في الشواهد السابقة، وذلك في قوله (ﷻ):﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [ص: ٢١].

هذا طرفٌ من قصة داود (عليه السلام) بعد أن قصَّ القرآن طرفًا من بعض إنعام الله عليه، وقد جاءت بعد أن ذكر الله (ﷻ) طرفًا من عناد المشركين وقبحهم مما يُحزن النبي (ﷺ) ويُؤلمه، فأمر الله (ﷻ) نبيه محمدًا (ﷺ) بالصبر على ما يقوله المشركون، ثم قَصَّ عليه من صبر الرسل السابقين، ولا يخفى ما في ذلك من تثبيت الله (ﷻ) لرسوله (ﷺ)، وتسليته عما أهمَّه وأحزنه.

ولأنها قصة عجيبة الشأن مما يقع في حياة الرسل، أخبر الله (ﷻ) بها نبيه (ﷺ) وما دار فيها بين داود (عليه السلام) والخصمين اللذين اقتحما عليه خلوته للذكر والعبادة، فقضى داود (عليه السلام) في هذه الخصومة بعد سماع أقوال أحد الخصمين دون سماع الآخر(٣)، وقد افتتحت هذه القصة بأساليب تشويق وإثارة متعددة منها:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧٣.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٣/ ٣٩٨.

أولًا: الاستفهام في قوله (ﷻ): (وهل أتاك)، وهو ليس على سبيل الحقيقة لا شك؛ إذ إنه صادر من رب العالمين (ﷻ) الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومن ثمَّ فهو استفهام يحمل معاني التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيِّزه، وهذا ما أشار إليه صاحب الكشاف في قوله: " ظاهره الاستفهام، ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع، ولا تخفى على أحد، والتشويق إلى استماعه"(١)، وقد تَبِعه في ذلك الإمام أبو السعود، والألوسي(٢)، وغيرهما.

ثانيًا: إيثار التعبير بالنبأ دون الخبر في هذا المقام؛ لأن النبأ معناه عظيم الشَّأْن(٣)، فهو يطلق على الأخبار بالغة الأهمية، أما الخبر فإنه يُطلق على الأمور العادية، كما أن في إسناد الإتيان إلى المجيء مجازًا عقليًا؛ لأن النبأ لا يأتي وإنما يُؤتى به، وفي هذا إيذان بفخامة شأن ذلك النبأ، حتى كأنه يرد على المسامع بنفسه دون الحاجة إلى أن ينقله ناقل(٤)، ولا يخفى ما في ذلك من لفت وتنبيه للنبي (ﷺ).

ثالثًا: الإتيان بمناط التعجيب في القصة مجملاً في قوله (ﷻ): (إذ تسوَّروا)، ومعناه اعتلوا على سُور البيت المتَّخذ للعبادة، ثم تفصيل ذلك في قوله (ﷻ):﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص: ٢٢]، والتفصيل بعد الإجمال مما يثير المخاطب ويحرِّك فكره؛ ليقرِّ الكلام في نفسه ويقع موقعه.

---

(١) الكشاف، ٤/ ٨٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ٩/ ١٤٨، وروح المعاني، ١٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم، (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر)، ص: ٤١.

(٤) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٣/ ٣٩٩.

والغرض من ذلك اللفت والتشويق لرسول الله (ﷺ) هو تسليته عن تكذيب المكذبين وعناد المعاندين، ودعوته إلى الاقتداء بالسابقين من إخوانه من الرسل والأنبياء، ومنهم داود (عليه السلام).

ومن ثم فقد جاء التشويق بتلك الصيغة (هل أتاك، وهل أتى) في الشواهد السابقة؛ تمهيدًا وتوطئة لغريب القصص والأنباء، فهي بمنزلة العنوان المثير الجذَّاب الذي يستولي على إصغاء السامع وجذب انتباهه[1].

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧٣.

المطلب الثاني

(هل) بعدها فعل الدلالة، (هل أدلك – هل أدلكم)

ورد التشويق بـ (هل) الواقع بعدها فعل الدلالة في أربعة مواضع، منها موضعين في سياق قصة موسى (عليه السلام)، وحوار أخته مع آل فرعون، وموضع في سياق الحديث عن وسوسة الشيطان لآدم (عليه السلام)، والأخير ما جاء في سورة (الصف) في سياق الحث على الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله.

ـــ ومن ذلك ما جاء في قوله (تعالى): ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢].

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة موسى (عليه السلام)، إذ كان من المعجزات التي أحاطت به (عليه السلام) أن حرَّم الله عليه المراضع وهو طفل صغير، حتى يحتار أهل فرعون في أمره، ومن ثم يعود إلى أمه؛ إنجازًا لوعد الله تعالى الحق؛ كي تقرَّ عينها ولا تحزن.

وجاء الاستفهام في الآية في قوله (تعالى): (هل أدلكم على أهل بيت...) حكاية عن أخت موسى (عليه السلام)، وما قالته لأهل فرعون حينما طلبوا النصيحة من الناس، وقد ألمح البقاعي إلى أن الاستفهام هنا غرضه العرض؛ فقال في معناه: "هل لكم حاجة في أني أدلكم على أهل بيت ..."[1]، وصرَّح بذلك الطاهر بن عاشور في قوله: "وعرضت سعيها في ذلك بطريق الاستفهام المستعمل في العرض؛ تلطفًا مع آل فرعون وإبعادا للظنة عن نفسها..."[2].

وقد أشار صاحب (التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم) إلى أن الاستفهام في هذه الآية حقيقي لا مجازي، وأنه لمجرد الطلب أو الإذن لها بأن تَدُلَّهم على من يكفل

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات السور، ٥/ ٤٦٩.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٠/ ٢٥.

موسى (عليه السلام)[1]، إلا أن مجيء الاستفهام بتلك الصورة فيه ما فيه من إثارة وتشويق إلى ما سيلقى إليهم من عَرْض.

وأوثر الاستفهام بـ (هل) في هذا المقام؛ لما فيه من تطييب لنفس أمها، وإثلاجٍ لصدرها، وهو ترجمة عما في نفسها من شدة الرغبة في قبول عرضها؛ سعيًا لإنقاذ أخيها من العناء وشدة الجوع[2].

ومنشأ التشويق هنا هو من صيغة الفعل (أدلُّ)؛ لأن الدلالة في اللغة معناها: مأخوذة من دلَّ الشخص على الشيء: أرشده وهداه وسدَّده إليه[3]، ومن ثم فإن تشويقهم وترغيبهم مأخوذ من دلالة الفعل، فهي إنما تعني بقولها إخلاص نصحهم وإرادة الخير لهم.

ولا يخفى ما في الاستفهام هنا من لطف ولين ورقة يفصح عن مشاعر الأخت نحو أخيها من إشفاق ورأفة[4].

كما أنها زادت في ترغيبهم ولفتهم من خلال الثناء على أهل ذلك البيت الذين سيكفلون رضيعهم عن طريق جملة الحال (يكفلونه لكم)، أي: يأخذونه ويعولونه ويقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لأجلكم[5]، وجاء بالفعل المضارع؛ للدلالة على تجدد ذلك وانقطاعه وفق إرادة أهل فرعون[6]، وفي هذا إيماء من أخت موسى (عليه السلام)؛ لما تعلمه وتدركه من شدة تعلُّق امرأة فرعون بذلك الرضيع الذي أرادته قرة عين لها ولزوجها.

يضاف إلى ذلك مجيء الجار والمجرور (لكم)؛ لترقيق قلوب أهل فرعون، وقبول ما تعرضه عليهم؛ لتأمين مستقبل أخيها الرضيع، من حيث لا يشعرون[7].

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ص: ١٩٠/٣.

(٢) ينظر: السابق، ٢/ ٣٠٥.

(٣) ينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٤٨، مادة: (دلل).

(٤) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٣/ ١٩١.

(٥) ينظر: نظم الدرر، ٥/ ٤٦٩.

(٦) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧٢.

(٧) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٣/ ١٩٢.

ثم عدل النظم الكريم عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في قوله (ﷻ): (وهم له ناصحون)؛ للدلالة على أن النصح صفة ثابتة لهم، والنصح هو: العمل الخالص الخلي من التقصير وشوائب الفساد[1].

وبذلك سعت أخت موسى (عليه السلام) بشتى السبل إلى تشويق أهل فرعون وترغيبهم في الأخذ بقولها، كل ذلك مع الحرص الشديد على إخفاء أمرها وأمر أخيها وأمها، من خلال الإبهام الذي أفاده التنكير في (أهل، وبيت).

ونظير هذه الآية قوله (ﷻ): ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٠].

ـــ ومن التشويق بـ (هل) الواقع بعدها فعل الدلالة، ما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾[طه: ١٢٠: ١٢١].

جاءت هذه الآية في سياق قصة آدم (عليه السلام)؛ حيث سعى إبليس اللعين بكل السبل؛ لإغواء أبينا آدم (عليه السلام)، وإخراجه من الجنة.

وكان من وسائل مكر الشيطان وإغوائه ذلك الاستفهام المشوّق الوارد على لسانه، في قوله (ﷻ): (هل أدلك على ...)؛ حيث ساق له الخداع والغش مساق العرض، وفي ذلك تشويق إلى ما سيلقى إليه، وإبعاد لنفسه عن التهمة والغرض[2].

---

(١) ينظر: نظم الدرر، ٥/ ٤٦٩، والتحرير والتنوير، ٢٠/ ٢٥.

(٢) ينظر: نظم الدرر، ٥/ ٥٢.

ومكمن التشويق في هذه الصيغة أن النفس تهفو دائمًا ويشتد طلبها لعلم ما تجهله، والدلالة هي: الإرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر لطالبه[1]، وبذلك يُظهِر إبليس نفسه في صورة الناصح الأمين الذي يريد أن يأخذ بيد آدم (عليه السلام) إلى ما ينفعه ويصلح شأنه.

ثم سمَّى الشجرة بقوله: (شجرة الخلد) بالإجمال دونما تعيين، وذلك لغرض تشويق آدم ولفته وإثارته؛ حتى يقبل عليها؛ حيث عيَّنها له بعد ذلك، بما أنبأ به قوله (ﷻ): (فأكلا منها...)[2]، كما أن في إضافة لفظ الخلد إلى (شجرة) إغراء لآدم بأكثر ما يتمناه الإنسان، "فإن الإنسان أحب شيء في طول البقاء"[3].

ثم عطف على شجرة الخلد، قوله: (ومُلك لا يبلى)؛ حيث جاء بلفظ (مُلك) منكَّرًا؛ لغرض التفخيم والتعظيم من شأن ذلك المُلك، وفي هذه الجملة المعطوفة مزيد إغواء وإغراء؛ إذ لا قيمة لطول عمر أو خلود لا يصاحبه نعيم وملك مقيم.

ثم وصف المُلك بقوله: (لا يبلى)؛ لأن ذلك من لوازم الخلود، فذكر ذلك الوصف؛ للتأكيد وزيادة الترغيب فيه[4]، فهو مُلك عظيم لا يلحقه فناء.

أضف إلى ذلك افتتاح وسوسته بالنداء في قوله: (يا آدم)؛ كي يتوجَّه إليه، وليهتم بما سيلقى إليه، كما أن في ندائه لآدم باسمه نوعًا من أنواع الطمأنة والإيناس لنفسه.

وقد تحقق لإبليس اللعين ما أراد من خلال تزيينه ومكره حيث قال (ﷻ): (فأكلا منها...)، وإذا كانت وسائل التشويق والتزيين هي سبيل الشيطان وأتباعه لإغواء بني آدم، فإن من باب أولى أن تكون هذه الوسائل هي أدوات الدعاة إلى الله ومصابيح الهدى الذين يَدلُّون الناس على صراط الله المستقيم، بأن يزينوا بضاعتهم ويعرضوها في أبهى صورة وأجمل حُلَّة.

---

(١) ينظر: نظم الدرر، ٥/ ٥٢، والتحرير والتنوير، ١٦/ ١٩٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/ ١٩٦.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥/ ٥٢.

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، (دار صادر– بيروت)، ٦/ ٢٣٠، وروح المعاني، ٨/ ٥٨٢.

ـ ومن الاستفهام التشويقي بـ (هل) الواقع بعدها فعل الدلالة ما جاء في قوله (ﷻ):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣ ﴾ [الصف: ١٠ : ١٣].

هذه الآيات هي خطاب من الله (ﷻ) لعباده المؤمنين يُوجِّههم فيها إلى ما فيه سعادة الدارين الدنيا والآخرة، ولمَّا كان ذلك الأمر من الأهمية بمكان افتتح الله (ﷻ) الآية بأسلوبي النداء والاستفهام؛ "لأنه أفخم وأشد تشويقًا بالأداة التي لا يكون ما بعدها إلا بالغًا في العِظَم إلى النهاية"(١).

فقوله (ﷻ): (هل أَدلُّكم؟) إيجاب في المعنى، أي: سَأدلُّكم على تجارة تنجيكم، ولذلك آثر النظم الكريم أداة الاستفهام (هل) دون غيرها من أدوات الاستفهام الأخرى؛ للدلالة على تحقُّق المطلوب لهذا الاستفهام، لكن ذلك الإيجاب في المعنى قد ذُكر بلفظ الاستفهام؛ تشويقًا؛ ليكون أوقع في النفس، فتكون له أشد تقبلًا(٢).

ويرى الطاهر بن عاشور (رحمه الله) أن الاستفهام هنا مستعمل في العرض مجازًا؛ لأن العارض قد يسأل المعروض عليه؛ كي يعلم رغبته في الأمر المعروض، مثل قولك: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟ وهذا العرض كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالته إياهم على تجارة نافعة(٣)، فورود الاستفهام مستعملاً في العرض، ممّا يثير اهتمام المخاطبين، ويبعث على إصغائهم إلى هذه التجارة المنجية من عذاب النار يوم القيامة، ومن ثم فلا خلاف بين الطاهر وبين أبي السعود (رحمهما الله) في دلالة الاستفهام هنا.

---

(١) نظم الدرر، ٧ / ٥٨٥.

(٢) ينظر: السابق، ٧ / ٥٨٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٨ / ١٧٣.

ولا يخفى ما في ذلك -أيضًا- من تلطف واستمالة وترغيب من الله (ﷻ) لعباده المؤمنين، فالعارض هو رب العالمين، والمعروض عليهم هم عباده الضعفاء المساكين.

ومما زاد من تشويق المؤمنين وترغيبهم هنا، تلك الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله (ﷻ): (تجارة تنجيكم من عذاب أليم)؛ حيث شبَّه العمل الصالح ومنه الإيمان والجهاد في سبيل الله، بالتجارة، بجامع طلب النفع من ذلك العمل وتحقيق الربح الحلال، وذلك التنكير في كلمة (تجارة)، والذي أفاد التفخيم والتعظيم، وكلمة (عذاب) التي أفادت التهويل والتفظيع، وكذلك المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية في قوله (ﷻ): (أليم) والمراد (مؤلم)، كل ذلك جعل النفوس تشرئب والقلوب تهفو إلى سماع ما هو آت بأذن واعية، ونفس متأملة صافية.

يضاف إلى ذلك التركيز على ما يحبون وما يتقنون، وهو التجارة التي سيطت[1] بدمائهم، ثم إنها تجارة خاصة لا توفِّي مطالب الجسد والبطن فحسب، بل تجارة تنجِّي من عذاب خالد، وبذلك يصل التشويق مداه، فمن منا لا يحرص على ذلك أكثر من حرصه على روحه[2].

ولمَّا كان ذكر الدلالة مجملًا في قوله (ﷻ): (أَدلُّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) مما يثير النفوس ويشوِّقها، جاءت جملة: (تؤمنون بالله ورسوله)، مفصولة على سبيل الاستئناف البياني؛ حيث أثار الإجمال في الجملة الأولى تساؤلًا في أنفس السامعين عما هذا الذي سيَدلُّهم عليه رب العالمين، وعن ماهية تلك التجارة التي ذكرها (ﷻ)؟، فكانت الجملة الثانية بمنزلة الجواب من الأولى.

فاستأنف لهم بيان ما أُبهم في لفظ التجارة، بأنه الجمع بين الإيمان بالله، والجهاد في سبيله بنوعيه في قوله (ﷻ): (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم

---

(١) من السَّوط: وهو خلط الشيء بعضه ببعض، ينظر: لسان العرب، ٧/ ٣٢٥، مادة: (سوط).

(٢) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧٢.

وأنفسكم)، والمعنى آمنوا وجاهدو، لكن الأمر جاء هنا بصيغة المضارعة؛ لإفادة شرط الاستمرار وتجديد الإيمان والجهاد في سبيل الله (ﷻ)[1].

ولمزيد من إيضاح الإبهام الكائن في قوله (ﷻ): (تجارة تنجيكم ...)، جاء قوله (ﷻ): ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ ؛ حيث بلغت الآية الأخيرة هنا قمة التشويق والإثارة، من خلال تصدير الآية بمُجملٍ في قوله (ﷻ): (وأخرى)، ثم تفصيله فيما بعدها، فالأخرى يُحبُّها المؤمنون، والنصر من الله وحده لا من غيره، وبذلك اشتملت الآيات على حسن الابتداء وحسن الختام؛ حيث بدأت بنداء المؤمنين، واختتمت ببشارتهم، وبين النداء والبشرى جنات ومساكن طيبة في جنات عدن، فهو مسلك يتخذه النَّظم الكريم سبيلًا إذا وصف مادحًا[2].

والغرض من التشويق في هذه الآية هو الترغيب في إخلاص الإيمان والجهاد في سبيل الله (ﷻ)، وتمكين ذلك في نفوس المؤمنين، والوعد عليه بجزيل المثوبة في الآخرة، وتحقيق النصر والفتح القريب في الدنيا.

---

(١) ينظر: نظم الدرر، ٧ / ٥٨٥.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، (مكتبة وهبة، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ٢/ ٢٧٣.

المطلب الثالث

(هل) بعدها فعل التنبيء، (هل أنبئكم - هل ننبئكم)

ورد التشويق بـ (هل) الواقع بعدها فعل التنبيء في النظم الكريم في ثلاثة مواضع، واحدة منها في سياق خطاب أهل الكتاب، والثانية والثالثة في سياق خطاب المشركين، وجاءت على النحو التالي:

ـــ ما جاء في سياق خطاب المشركين في قوله (ﷻ):﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ چ [المائدة: ٥٩: ٦٠].

وردت هاتان الآيتان بعد آيات أظهرت سخرية أهل الكتاب من الإسلام وشعائره، وذلك في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨]؛ إذ كانوا يعتقدون أن الإسلام شر محض؛ ولذلك أمر الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) بإلزام أهل الكتاب وتبكيتهم ببيان أن مدارَ نقمِهم للإسلام إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم -أيضًا-، وكفرهم بما هو مُسلَّم لهم، ثم أمره (ﷻ) في الآية الثانية بمزيد تبكيتهم ببيان أن الذي يستحق النقم والعيب ما هم عليه من دين مُحرَّف، ثم نعى عليهم في ضمن البيان جناياتِهم، وما حاق بهم من عقوبات[1].

وفي توسيط النبي (ﷺ) بأمره بالقول في الآية الأولى؛ لإيجاب مشافهة اليهود بما في الآية وفورية تبليغهم؛ إذ إنه مما يجب الاهتمام به وتبليغه على نحو خاص، ثم كرَّره في

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٣/ ٥٤، والأساليب الإنشائية وأسرارها االبلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٦٩.

الآية الثانية؛ للإشارة إلى استقلال هذه المواجهة لليهود عن الأولى؛ إذ إنها تحمل سلاحًا جديدًا؛ لإفحام اليهود وكشف زيفهم من خلال براهين وأدلة خاصة[١].

وموطن الشاهد في قوله (ﷻ): (هل أنبئكم بشر من ذلك؟)؛ حيث خاطبهم النظم الكريم قبل البيان في الآية الثانية بما يُنبىء عن عِظَم الأمر المبيَّن، والذي يستدعي إقبالهم على تلقّيه من خلال الاستفهام المُشَوِّق إلى المخبِر به والمُشعر بكونه أمرًا خطيرًا؛ لكون النبأ هو: الخبر الذي له شأن وخطر[٢]، فوقوع الاستفهام هنا بتلك الصيغة بمنزلة المقدمة التي تستقطب الأذهان وتستولي على القلوب؛ لصياغتها المثيرة، إلا أن ما يميز ذلك التشويق في هذا المقام، أنه داخل فيما يُراد نقيضه، تهكمًا وسخرية من المخاطبين، كجعل الخير شرًا، والعقوبة مثوبة[٣]،

والتعبير باسم التفضيل (شر)، يقتضي أن المسلمين لهم حظ منه، وهذا ليس بحقيق بل إنه جرى على سبيل التهكم باليهود؛ لأنهم قالوا للمسلمين: لا دين شر من دينكم، وهو مما عبَّر عنه في الآية الأولى بقوله (ﷻ): (تنقمون)، وهذا يعدُّ من مقابلة الغلظة بالغلظة كما يقال: "قلت فأوجبت"[٤]، ولا يخفى ما في ذلك من مجاراة الخصم واستدراجه واستمالته؛ لسماع ما يُلقى إليه.

ثم قال (ﷻ): (مثوبة)، والأصل (عقوبة)؛ لأن المثوبة تكون في الخير، والعقوبة تكون في الشر، وذلك على حد قولهم: تحية بينهم ضرب وجيع[٥]، وفي هذا مجاز مرسل علاقته الضدية، والمراد به التهكم؛ حيث أخرج الكلام على حسب اعتقادهم؛ إذ لا شراكة بين

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٣/ ٥٤.

(٣) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٦٩، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ص: ٢٦٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ٥/ ١٤٢.

(٥) ينظر: الكشاف، ١/ ٦٥١.

المؤمنين وبينهم في أصل العقوبة، لكنهم لمَّا حكموا بأن الإسلام شر، فكأنه قيل لهم: هبوا الأمر كذلك، ولكن لعنة الله وغضبه شر من ذلك الذي تزعمون أنه شر[1].

ثم استأنف قوله (ﷻ): (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) جوابًا عن سؤال مقدَّر، وكأنهم قالوا: من هذا؟ فقيل لهم: (من لعنه الله...)، وذلك الاستئناف كأنه ترك منطقة ظل أو سكتة تُعين على الاستيعاب والتأمل، وقد جاء ذلك الجواب بتركيز الغضب والمقت من خلال: تكرار لفظ الجلالة، وتهويل اللعن والغضب، ومسخهم في صورة أخسِّ المخلوقات قردة وخنازير، ومَن أخسُّ منهم وهم عبدة الطاغوت[2]، وهذه الصفات كناية عن موصوف، وهم اليهود؛ إذ إن هذه الصفات ثابتة لهم قرآنًا وتاريخًا، وذلك أبلغ من التصريح؛ لأن دعوى أشرِّيتهم جاءت مقرونة بدليلها، وهي تلك الأوصاف المذكورة في الآية[3].

والتعبير باسم الإشارة للبعيد في قوله (ﷻ): (أولئك شر مكانًا)؛ للإشارة إلى أنهم بغضاء بعداء عن الهداية والرضوان الإلهي في الدنيا والآخرة، موصوفون باللعن وما معه من صفات، وللإيذان بأن اليهود المتحدَّث عنهم مستحقون للوصف المذكور بعد اسم الإشارة؛ بسبب ما ذُكر قبله من صفات مهَّدت لصيرورتهم أشرَّ الناس وأضلهم عن الحق[4].

وجاءت الكناية في قوله (ﷻ): (شر مكانًا)؛ حيث أثبت الشر للمكان؛ ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم، فإن في إثبات الشرارة لمكان الشيء كناية عن إثباتها له، فكأن شرهم قد أثر في مكانهم، أو عظُم حتى صار مجسمًا، فهو كناية عن عراقتهم في الشر[5].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، (دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، ط: ٤، ١٤١٥هـ) ، ٢/ ٥١٤.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٢/ ٢٥٩، والأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧٠.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٤) ينظر: نظم الدرر، ٢/ ٤٨٨، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ٢٦٣.

(٥) ينظر: نظم الدرر، ٢/ ٤٨٨.

وقوله (ﷻ): (وأضل عن سواء السبيل) مقرّرٌ للمعطوف عليه وهو الشر، أي: إنهم أكثر ضلالًا عن الطريق المستقيم، وفي هذا دلالة على أن دينهم شر خالص بعيد عن الحق؛ لأن الذي يسلكونه من الطريق دينهم، فإذا كانوا أضلَّ كان دينُهم لاريب ضلالًا مبينًا[1].

وبذلك استطاع النظم الكريم تبليغ ذلك البيان لهم مع شدَّته وغلظته وما فيه من سخرية وتهكم، من خلال ذلك الاستفهام التشويقي المثير (هل أنبئكم)، ومجاراتهم واستدراجهم من خلال استعمال أفعل التفضيل ووضع لفظ المثوبة موضع العقوبة في قوله (ﷻ): (بشر من ذلك مثوبة)، والتعريض بهم من خلال تلك الأوصاف الشنيعة المذكورة؛ حيث إنه لم يصرح بنسبتها إليهم، فعدل عن الخطاب إلى الغيبة، حتى لا يأخذهم عنادهم وكبرهم عن سماع ذلك البيان المُلقى عليهم، فسبحان من هذا كلامه.

ـــ ومن التشويق بـ (هل) الواقع بعدها فعل التنبيء ما جاء في قوله (ﷻ):﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ : ٢٢٣].

لما بيَّن النظم الكريم قبل هذه الآيات أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزّلت به الشياطين في قوله (ﷻ):﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ : ٢١١]، أكَّد ذلك بأن محمّدا (ﷺ) لا يصح أن يتنزَّلوا عليه، وذلك من وجهين: أحدهما أنه إنما يكون تنزُّل الشياطين على كذاب كثير الإثم، وحال محمد (ﷺ) على خلاف ذلك. وثانيهما: أن الأفَّاكين يُلقون السمع إلى الشياطين، فيتلقون منهم ظنونًا وأمارات لنقصان علمهم، ثم يَضمُّون إليها أمورًا متوهمة لا يطابق أكثرها واقعًا، ومحمّد (ﷺ) ليس كذلك، إذ إن ما يخبر عنه من مغيبات كثيرة قد طابق كلها[2].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٢/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ)، ٤/ ١٥٢.

وقد ذكر البقاعي في معنى الاستفهام هنا (هل أنبئكم؟) "أي: أخبركم خبرًا جليلًا نافعًا في الدين، عظيم الجدوى في الفرقان بين أولياء الرحمن وإخوان الشيطان"[١]، وفي هذا إشارة إلى مناط التشويق في تلك الصيغة.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الاستفهام هنا صوري مستعمل كناية عن كون الخبر مما يُستأذن في الإخبار به، وليس الأمر كما ذكر (رحمه الله)؛ إذ لو كان الأمر كما قال؛ لتريَّث النظم في الجواب حتى يصدر منهم ذلك الإذن، ومن ثم فإن الذي يليق بالمقام هنا أن الاستفهام إنما ذُكر توطئة وتمهيدًا لإثارة انتباههم وتشويقهم إلى الجواب، وتفريغ أذهانهم من الشواغل التي من شأنها أن تُلهي عن حسن الإقبال وكمال التلقِّي[٢].

ولعل في قول ابن عطية (رحمه الله) إنه: "استفهام توقيف وتقرير"[٣]، إشارة إلى ذلك. ومنشأ التشويق في تلك الصيغة (هل أنبئكم؟) هو دلالة الفعل (أنبيء)؛ إذ إن النبأ وإن كان يطلق مرادفًا للفظ الخبر كما جرى عليه إطلاق أكثر المعاجم[٤]، إلا أن الراغب قد عرَّفه بقوله: "النبأ: الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ويكون صادقًا"[٥]. وهذا فرق حسن؛ ولذلك جرى البلغاء عليه؛ لما تدلُّ عليه موارد استعمال لفظ (النبأ) في كلامهم[٦].

---

(١) نظم الدرر، ٥/ ٣٩٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١٩/ ٢٠٨، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٣/ ١٢٤.

(٣) المحرر الوجيز، ٤/ ٢٤٦.

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ١/ ٧٤، والقاموس المحيط، للفيروزآبادى، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص: ٥٣، ولسان العرب، ١/ ١٦٢.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، (دار القلم - دمشق)، ٢/ ٤٠٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٩.

ومع ما في الاستفهام من تشويق إلى الخبر، فإن فيه بيانًا للحق الدامغ، ثم تبكيتًا لهم على أخلاقهم التي بُدئت بالإفك وخُتمت بالكذب[1].

و(مَن) هنا في قوله (ﷻ): (مَن تنزَّل الشياطين) موصولة وليست للاستفهام، -كما ذهب أكثر المفسرين[2]- فهي وصلتها معمول الإنباء؛ إذ إن حمل الكلام على غير الموصولية تأباه بلاغة النظم وجزالته، ولو كان النظم قد خلا من (هل) هنا؛ لتعيَّن أن يكون (مَن) للاستفهام[3].

وجاءت صيغة التضعيف في (تنزَّل)؛ لإفادة الكثرة، أي: كثرة وساوس الشياطين لأوليائهم المشركين، كما أوثر التعبير بالمضارع؛ للإيذان بأن وسوسة الشياطين لأوليائهم مستمرة فهي ديدنها وعادتها التي لا تنقطع، ما دام في الدنيا شياطين وأفاكون[4].

وبذلك ردّ النظم الكريم على ما زعمه المشركون من أن القرآن من قبيل ما يُلقيه الشيطان على الكهنة، بأن الشياطين إنما تتنزل على كهانهم الموصفين بهذه الصفات؛ ليعلموا أن الذي رموا به القرآن لا ينبغي أن يتلبس بحال أوليائهم[5]، كل ذلك في أسلوب مشوّق مثير يجذب انتباههم ويثير عقولهم.

ـــ ومن ذلك أيضًا، قوله (ﷻ): ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣: ١٠٥].

---

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) ينظر: الكشاف، ٣/ ٣٤٢، ونظم الدرر، ٥/ ٣٩٩، وإرشاد العقل السليم، ٦، ٢٦٨.

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في االقرآن الحكيم، ٣/ ١٢٥.

(٤) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٣/ ١٢٥، إذ يرى الدكتور/ عبد العظيم المطعني أن تناول أكثر الأجلة من المفسرين لمعنى (مَن) هنا، وأن أصلها (أمَن)، لا يعدو كونه بحثًا لغويًا، وليس بيانًا لمعنى الاستفهام هنا، وهو ما يميل إليه الباحث.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ١٩/ ٢٠٨.

في هذه الآيات أمْر من الله تعالى لنبيَّه (ﷺ) أن يُبيِّن للناس من هم الأخسرون أعمالًا، وأنَّهم هم الذين بطل عملهم في الحياةِ الدنيا، وهم يظنُّون أنَّهم يحسنون عملًا؛ لأنهم كفروا بآيات ربهم وكذَّبوا بها، فبَطَلت أعمالُهم بسبب كفرهم، ولم تثقل موازينهم يوم القيامةِ.

ولأن الخبر الذي أمر الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) بتبليغه في هذه الآية من الأهمية بمكان، ويدفع ما يتوهمه المشركون من نفع عبادة غير الله والتقرب إليها بشتى القرب، فقد حوت صورًا من الإثارة والتشويق إلى سماع ذلك الخبر والالتفات إليه.

حيث افتتحت الجملة بالأمر (قل)؛ للاهتمام بالمقول بإصغاء السامعين؛ لأن مثل ذلك الافتتاح يُشعر بأهمية الغرض المسوق له الكلام(١).

وكان من وسائل التشويق في الآية مجيء الاستفهام في قوله (ﷻ):﴿ ...هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ ؛ حيث ذهب ابن عطية إلى أن الاستفهام هنا للتوبيخ، وتبعه في ذلك أبو السعود، وجوَّز الألوسي أن يكون للاستئذان على سبيل التهكم والسخرية منهم، بينما يرى الطاهر بن عاشور أن الاستفهام هنا مستعمل في العرض؛ إذ إنه بمعنى: أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالًا؟، وأن ذلك العرض إنما هو على سبيل التهكم؛ لأنه سينبئهم بذلك دون توقف على إذنهم أو رضاهم(٢).

بينما يرى صاحب (التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم)، أن التوبيخ والاستئذان لا سند لهما في هذا المقام، وأن الاستفهام هنا إنما استعمل بقصد إثارة الذهن والالتفات إلى ما سيقال؛ كي يستقر في أنفسهم(٣)، وهذا ما يميل إليه الباحث إذ إن صيغة الاستفهام هنا (هل ننبئكم) إنما تنبئ عن أهمية ذلك الخبر المُلقَى إليهم، وأنه مما ينبغي تطلُّبه والعلم به.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٥/ ١٤٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ٣/ ٥٤٥، وإرشاد العقل السليم، ٥/ ٢٤٩، وروح المعاني، ٨/ ٣٦٧، والتحرير والتنوير، ١٥/ ١٤٥.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٢٦٧.

وجاء فعل التنبئ في هذه الآية (ننبئكم) بصيغة الجمع؛ لتعيين المتكلم من أول الأمر؛ وللإيذان بمعلومية ذلك النبأ للمؤمنين[1]، ولعل في هذا إيماءً إلى وجوب حذر المؤمنين من ذلك الخبر، إن لم يكن من الشرك الأكبر فمن الشرك الأصغر الذي يُحبط الأعمال.

وافتتاح الجملة المخبر عنها بأفعل التفضيل (الأخسرين) أي، شديدي الخسارة فيه ما فيه من لفت وتنبيه، فهم ليسوا خاسرين بل أشد الناس خسارة؛ حيث خسروا الدنيا ببذل أعمالهم وسعيهم، وخسروا الآخرة بأن حبطت أعمالهم وخفت موازينهم.

كما جاء التمييز جمعًا في قوله (ﷻ): (أعمالًا)؛ للإيذان بتنوع هذه الأعمال، وبيان لحال هؤلاء الكافرين؛ حيث كانوا يُعجبون بأعمالهم الحسنة، ويثقون بنيل ثوابها، ومشاهدة آثارها[2].

كما عدل النظم الكريم عن طريقه الخطاب المباشر فلم يقل لهم: هل ننبئكم بأنكم الأخسرون أعمالًا، إلى طريقة الغيبة؛ لمزيد من اللفت والتشويق؛ بحيث يستشرفون إلى معرفة هؤلاء الأخسرين أعمالًا، فما يروعهم إلا أن يعلموا أنهم هم المخبر عنهم[3].

ثم يأتي الإطناب في قوله (ﷻ): ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾؛ لمزيد من التشويق إلى معرفة هؤلاء الأخسرين أعمالًا؛ حيث أجرى عليهم من الأوصاف ما يزيد السامعين حرصًا على معرفة الموصوفين بتلك الأوصاف[4].

وبذلك تعدَّدت وتآزرت أساليب الإثارة والتشويق في هذا المقام؛ حيث اقتضى مزيدًا من لفت المشركين وتنبيههم على غفلتهم عن ضلالهم وخيبة سعيهم.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٥/ ٢٤٩.

(٢) ينظر: السابق، ٥/ ٢٤٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٥/ ١٤١.

(٤) ينظر: السابق، ١٥/ ١٤٢.

المبحث الثاني

التشويق عن طريق الاستفهام بـ (الهمزة)

وينقسم إلى مطلبين:

١ـ التشويق بـ (الهمزة) بعدها فعل التنبيء، (أؤنبئكم ـ أفأنبئكم).

٢ـ التشويق بـ (الهمزة) بعدها فعل الرؤية، (ألم تر ـ أرأيت).

□

المطلب الأول

التشويق بـ (الهمزة) بعدها فعل التنبيء، (أؤنبئكم - أفأنبئكم)

جاء الاستفهام التشويقي بالهمزة الواقع بعدها فعل التنبيء في موضعين، الأول تنبيء بالخير، والثاني تنبيء بالشر تهكمًا.

ـــ أما التنبيء بالخير فهو ما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

في هذه الآية يخبر الله (ﷻ) عباده بما هو خير وأفضل من مُزخرفات الدنيا وملذَّاتها الواردة في الآية السابقة عن تلك الآية، في قوله (ﷻ): ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، وأن ما عند الله (ﷻ) من نعيم الآخرة هو أفضل من نعيم الدنيا وزخرفها.

وجاء التشويق والترغيب في نعيم الآخرة في هذه الآية على أبلغ وأكمل وجه من خلال:

أولًا: التفصيل بعد الإجمال، فبعد أن ذكر الله (ﷻ) ما عنده من حسن المآب مجملًا، فصَّل ذلك المجمل من خلال الآية؛ مبالغة في الحثِّ والترغيب.

ثانيًا: الاستفهام الذي جاء في صورة العرض، في قوله (ﷻ): (أؤنبئكم)؛ تشويقًا لنفوس المخاطبين إلى تَلَقِّي ما سَيُقص عليهم من نبأٍ عظيم[1].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٣ / ٤١.

ثالثًا: الأمر في قوله (ﷻ): (قل) المُشعر بمزيد اهتمام بالكلام المَقُول، والتعبير بالنبأ دون الخبر؛ للإشارة إلى أهمية ذلك الخبر وعظمته، وإيثار التعبير (بخير) دون أن يقال مثلًا: (بما أعدَّه الله)؛ لما في التعبير بالخير من بشريات عظيمة الشأن[1].

رابعًا: الإيماء إلى عظيم نِعَم الله (ﷻ) على عباده في الدنيا، وذلك من خلال التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد في قوله (ﷻ): (ذلكم)، ومع ذلك فإن نعيم الآخرة خير وأبقى، دلَّ على ذلك أفعل التفضيل في قوله (ﷻ): (خير).

خامسًا: جملة الاحتراس[2] في قوله (ﷻ): (للذين اتقوا عند ربهم)، وذلك لدفع توهُّم غير المراد؛ إذ إن نعيم الآخرة مقصور على المتقين، وفي توسيط تلك الجملة بين المفسَّر (بخير)، والتفسير (جنات)، مسارعةٌ إلى تيئيس غير المتقين من ذلك الفضل العظيم، والنعيم المقيم[3].

سادسًا: في جملة: (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)، وما عطف عليها في قوله (ﷻ): (وأزواج مُطهَّرة ورضوان من الله)، تفصيلٌ بعد إجمال في قوله (ﷻ): (بخير)، غرضه التشويق، ولا يخفى ما في التنكير في قوله (ﷻ) : (جنات- أزواج - رضوان)، وإضافة (رضوان) إلى (الله)؛ من زيادة في التفخيم والتعظيم لذلك النعيم[4].

كل ذلك وغيره جاء لقصد ترغيب المخاطبين واستمالتهم، وتمهيدًا وتنشيطًا لأذهانهم، نحو ما سيُلقى إليهم بعد الاستفهام، وتحريكًا لمشاعرهم إلى نعيم الآخرة المقيم؛ ولأن الجنة ونعيمها هي الغاية التي يَجدُّ من أجلها المُجدُّون ويشمِّر من أجلها المُشمِّرون، فقد هيَّأ إليها النظم الكريم وشوَّق بما يكون أثبت في النفس وأوقع.

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ١٥٤.

(٢) الاحتراس: هو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو ضربان ضرب يتوسط الكلام كما هو الحال في الآية الكريمة، وضرب يقع في آخر الكلام. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: ١٩٢.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ١٥٤.

(٤) ينظر: السابق، ١ / ١٥٤، ١٥٥.

ـــ وأما التشويق بالهمزة الواقع بعدها فعل التنبيء بالشر تهكمًا، فهو ما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٢].

كان مشركو قريش إذا سمعوا القرآن من النبي (ﷺ) أو من أحد من أصحابه وسمعوا ما فيه من دعوة إلى توحيد الله (ﷻ)، ورفْض آلهتهم رأيت المساءة في وجوههم والمنكر من معتقدهم وعداوتهم، وأنهم يريدون ويتسرعون إلى السطوة بالتالي[1].

والشاهد في قوله (ﷻ): (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم)، فقد ذهب ابن عطية (رحمه الله) إلى أن الاستفهام هنا هو وعيد وتقريع، وتبعه في ذلك ابن حيان وغيره[2]، وذكر الطاهر بن عاشور (رحمه الله) أن الاستفهام هنا مستعمل في الاستئذان، وأنه استئذان تهكمي؛ لأنه قد نبأهم بذلك دون انتظار جوابهم[3].

وتأمل تلك المبالغة في إنكارهم من خلال الكناية أو المجاز المرسل في قوله (ﷻ): (تعرف)؛ حيث أطلق المسبب وهو العرفان، وأريد السبب وهو المشاهدة، وإيثار حرف الجر (في)؛ للدلالة على تمكين الكراهية في وجوههم، كما عبَّر بالصلة والموصول في قوله (ﷻ): (الذين كفروا)؛ للتسجيل عليهم بالكفر، وهو من أعظم الجرائم، وكذلك قوله (ﷻ): (يكادون يسطون)، كناية عن شدة حقدهم وغيظهم من الدعاة إلى الله (ﷻ)، كما أوثر التعبير بالمضارع؛ لاستحضار صورة بطشهم وسطوهم؛ تبشيعًا لها، وجاء التعبير

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ٤/ ١٣٠.

(٢) ينظر: السابق، ٤/ ١٣٠، والبحر المحيط، ٧/ ٥٣٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٧/ ٢٤٢.

بالموصول وصلته في قوله (ﷻ): (بالذين يتلون)؛ لبيان تقبيح فعلهم وسطوهم، فإنه بهؤلاء الذين يرجون لهم خيري الدنيا والآخرة[١].

ولما كان إعراضهم والمبالغة في نفورهم عن شيء واضح بيِّن لا ريب فيه، كما قال (ﷻ): (آياتنا بينات)، استحقوا ذلك التهديد والتبكيت من خلال الاستفهام في قوله (ﷻ): (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم؟)؛ إذ إنهم لا عذر لهم فيما ذهبوا إليه[٢].

ومن ثم جاء الردُّ عليهم على قدر المستوى المثير وأعلى، يظهر ذلك من خلال سرعة عتيدة في جملة قصيرة بُدئت بالهمزة قصيرة الحركة، وفعل (أُنبيء) وما له من دلالة خطيرة؛ لبيان ما هو أفظع وأكثر شرًّا من ثورتهم. كما أن الأسلوب في سرعته وحدّته قد طوى حذفًا كثيرًا من خلال: جملة المعطوف عليه بالفاء، وحذف الموصوف إبقاءً على الصفة (شر)؛ جبهًا لهم ولطمًا، مع ذلك التشويق الساخر لما لا يشوق إليه من شر[٣]،

والإشارة في قوله (ﷻ): (ذلكم) إلى غيظهم وسطوهم على التالين، أو إلى ما أثار منكرهم وحفيظتهم، ثم يذكرها القرآن لفظة واحدة راجفة هائلة (النار)، على إضمار مبتدأ، وأجاز الزمخشري أن تكون مبتدأً، و(وعدها) الخبر، وكأنه قيل إذا كان غضبكم وحنقكم على المؤمنين قطعًا من نار على المجاز، فالجزاء النار كلها حقيقة بشعة حاضرة معدَّة لهم؛ إذ إننا نحس بالتبكيت والغضب والسخرية والوعيد رهيبة متداخلة[٤]، ومن ثم فقد قابل النظم الكريم إنكار الكافرين وحقدهم وحنقهم بذلك الاستفهام التهكمي التبكيتي الساخر.

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٢/ ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) ينظر: السابق، ٢/ ٤٠٣.

(٣) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧١.

(٤) ينظر: الكشاف، ٣/ ١٧٠، والبحر المحيط، ٧/ ٥٣٦، والتحرير والتنوير، ١٧/ ٢٤٢، والأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ٢٧١.

المطلب الثاني

التشويق بـ (الهمزة) بعدها فعل الرؤية، (أرأيت - ألم تر)

ورد الاستفهام بالهمزة الواقع بعدها فعل الرؤية في صورة الخطاب في نحو ثلاث وثلاثين مرة، مرتين للخطاب بالجمع (ألم تروا)، وإحدى وثلاثين مرة بالإفراد (ألم تر)، وقد أفادت في تلك المواضع دائمًا التنبيه والتعجيب وتوجيه الأسماع والقلوب إلى ما سيأتي بعدها، فهي قد تُذكر لمن تقدَّم علمه فتكون حينئذٍ للتعجيب والتقرير والتذكير، وقد تُذكر لمن لا يكون كذلك فتكون حينئذٍ لتعريفه وتعجيبه(١)، أما إذا وقع بعدها (كيف) فإن معنى التعجيب فيها حينئذٍ يكون أظهر وأقوى(٢)، إلا أنها في مثل تلك المواضع لا تخلو من إيقاظٍ ولفت لانتباه المخاطبين.

ـــ ومن ذلك، ما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

هذه الآية تمثيل جميل للكلمة الطيبة؛ ترغيبًا من الله (ﷻ) لعباده المؤمنين في القول الطيب؛ لما يترتب عليه من خيري الدنيا والآخرة.

وجاء الاستفهام متصدرًا هذا التمثيل؛ للفت المخاطبين وإيقاظهم؛ كي يترقَّبوا ما يَرِد بعد هذا الاستفهام، وهو مثل قولهم: (ألم تعلم)(٣)، وفي هذا إشارة إلى ما يحمله من إثارة وتشويق.

وقد تردَّد الطاهر بن عاشور (رحمه الله)، في دلالة الاستفهام في هذه الآية حيث بيَّن أنه يحتمل الإنكار على المخاطب بتنزيله منزلة من لم يعلم، فَأُنكر عليه عدم العلم، أو أنه

---

(١) ينظر: روح المعاني، ١/ ٥٥٢.

(٢) ينظر: أساليب الاستفهام في القرآن، د/ عبد العليم السيد فودة، (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، د.ط)، ص: ٦٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، ٣/ ٣٣٤.

مستعمل في التعجيب من عدم العلم بذلك، مع أن الدواعي إلى علمه متوفرة كثيرة، أو أنه للتقرير، وهو كناية في التحريض على العلم بذلك[١]، وكلها أوجه محتملة إلا الإنكار فإنه لا سند له هنا، وأبعد ما يكون عن المقام[٢].

ومن ثم فإن الاستفهام هنا يحمل معاني التشويق والتأمل والتقرير والتعجيب، ولا عجب في هذا، فإن ضبط معنى الاستفهام في شيء مُحدَّد مما لا نستطيع إدراكه في كثير من الصور؛ لكونه خفيًا وسانحًا ومتفلتًا، ونحن نحاول السيطرة عليه بمثل تلك المعاني الكثيرة التي نتوهَّم أنها تُحيط به، لكنها مع ذلك لا تَصِفُ إلا ما يظهر منه، ولا تستخرج منه إلا بعض إشاراته، ويكثر ذلك في الأساليب الثرية والسياقات الحيَّة[٣]، وليس هناك أثرى من النظم الكريم الذي أعجز بيانه أرباب الفصاحة والبيان .

وإذا كان قد تردَّد الطاهر (رحمه الله) في توجيه الاستفهام هنا، فإنه صرَّح بدلالة التمثيل وصوغه على التشويق؛ حيث قال: إن ضرب المَثَل هنا لم يكن قد سبق ضربه، بل إن الآية هي أول ما جاءت به، ومن ثم فالكلام تشويق إلى علم ومعرفة هذا المثل، ومما زاد من التشويق لمعرفة هذا المَثَل، وما مُثِّل به هو صوغه في الزمن الماضي الذي دلَّ عليه حرف (لَمْ) التي هي لنفي الفعل في الزمن الماضي، وكذلك فعل (ضَرَبَ) بصيغة الماضي[٤].

كما كان للألوان البلاغية الأخرى في هذه الآية دَورٌ في التشويق والترغيب من خلال: الاستعارة التبعية في قوله (ﷻ): (ضرب)؛ حيث استعير الضرب للذِّكْر، وسرُّ ذلك كمال العناية بقوة هذا المثل المذكور، الذي يُعدُّ تأثيره القوي شبيهًا بتأثير الضرب في المضروب من حيث قوة الإحساس[٥]. أضف إلى ذلك تنكير كلمتي (مثلًا ـ كلمة)، والذي أفاد التعظيم والتفخيم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٤٩.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٢/ ١٧٧.

(٣) ينظر: دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، أ.د/ محمد أبو موسي، (مكتبة وهبة، ط: ٤، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م)، ص: ٢٢٠، ٢٢١ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٤٩.

(٥) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، ٢ / ١٧٧.

كما كان للتشبيه التمثيلي في الآية – حيث شبَّه الهيئة الحاصلة من البهجة والفرح، وازدياد أصول النفع باكتساب المنافع المتتالية بهيئة رسوخ الأصل، وجمال المنظر، ونماء الأغصان، ووفرة الثمار، ومتعة أكلها، فجاء كل جزءٍ من أجزاء إحدى الهيئتين يقابله الجزء الآخر من الهيئة الأخرى، وذلك أكمل أحوال التمثيل[1]- دور عظيم في تقريب المعنى، ومزيد تشويق وترغيب في قول الكلام الطيب.

ونظير هذه الآية قوله (ﷻ):﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٥].

ـــ ومن الاستفهام التشويقي عن طريق الهمزة الواقع بعدها فعل الرؤية، ما جاء في قوله (ﷻ):﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ [الماعون: ١، ٢].

ذكر الزمخشري (رحمه الله) أن معنى الاستفهام هنا: "هل عرفت الذي يكذِّب بالدين من هو؟، إن لم تعرفه (فذلك الذي) يكذِّب بالجزاء، هو الذي (يدعُّ اليتيم) ..."[2]، وهي إشارة منه إلى أن المراد بالاستفهام هنا هو تحريك مشاعر السامع نحو المستفهم عنه، وإثارة ذهنه، واستحضار تلك الصورة فيه؛ كي يُحكم عليه وهو حاضر ماثل أمامه[3].

وقد صرَّح الألوسي (رحمه الله) بإفادة الاستفهام هنا للتشويق؛ حيث قال: إنه أريد به تشويق السامع إلى معرفة المُكذِّب بالدين وصفاته؛ لأن ذلك مما ينبغي على المُتديِّن أن يحترز عنه وعن فعله، كما بيَّن أن فيه تعجيبًا منه، وأجاز أن يكون المراد بـ (أرأيت) هنا

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٥٠.

(٢) الكشاف، ٤ / ٨٠٤.

(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٤/ ٣٩٦.

هو أخبرني[1]، وهو وجه مستبعد؛ إذ كيف مع إخبار الله (ﷻ) لنا بالذي يكذِّب بالدين، يطلب منا هو -ولو مجازًا- أن نخبره بالذي أخبرنا به (ﷻ)[2].

واقتفى الطاهر بن عاشور (رحمه الله) أثر الألوسي في الوجهين الأَوليْنِ؛ حيث ذكر أن الاستفهام هنا فيه تعجيب مصاغ في نظم مُشوِّق، إلا أنه بحسِبّه البلاغي الراقي قد وضع يده على منشأ التشويق في ذاك الاستفهام، فبيَّن أن الاستفهام عن رؤية من ثبتت له صلة الموصول يذهب بذهن السامع كل مذهب؛ كي يعرف المقصود بهذا الاستفهام، إذ إن التكذيب بالدين شائع فيهم، ومن ثم فلا يكون مثارًا للتعجب، فيترقب السامع ماذا سَيَرِدُ بعده، وهو قوله (ﷻ): (فذلك الذي يدعُّ اليتيم)[3].

ومع ما في الإشارة من تمييز كامل للمكذِّب بالدين حتى يتبصَّر السمع فيه وفي صفته، فإن في مجيء اسم الإشارة واسم الموصول بعد الفاء هنا زيادةَ تشويقٍ؛ كي تقرع الصلة سمع السامع، فتتمكن منه كمال تمكُّن[4].

والغرض من افتتاح السورة بذلك الاستفهام التعجيبي التشويقي هو التنفير من حال أولئك المكذبين بالبعث، وتفظيع أعمالهم، التي ينبغي على المؤمن بالبعث التَّحرُّز منها والبُعد عنها.

---

(١) ينظر: روح المعاني، ١٥ / ٤٧٤.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٤/ ٣٩٦، ٣٩٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٤٩٥.

(٤) ينظر: السابق، ٣٠/ ٤٩٥.

المبحث الثالث

التشويق عن طريق أسماء الاستفهام

وينقسم إلى أربعة مطالب:

١ـ التشويق بـ (مَن).

٢ـ التشويق بـ (ما).

٣ـ التشويق بـ (كيف).

٤ـ التشويق بـ (أي).

المطلب الأول
التشويق بـ (مَن)

كما جاء التشويق بحرفي الاستفهام (هل)، و(الهمزة)، جاء -أيضًا- ببعض أسماء الاستفهام، وإن كان قد جاء مقترنًا بأغراض ومعانٍ أخرى أفادها الاستفهام في تلك السياقات، وربما تأخر معنى التشويق في ترتيب تلك المعاني المفادة، على غير ما جاء في صيغ التشويق عن طريق الاستفهام بـ (هل)، و(الهمزة)، فإن ما وقع بعدهما من أفعال مثل: (الإتيان، والدلالة، والتنبيء) قد دعَّم وأيَّد معنى التشويق والإثارة.

ـــ ومن ذلك التشويق بـ (مَنْ) الاستفهامية، كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة: ٢٤٥].

لمَّا كان المال من أشدِّ ما تتعلق به النفس البشرية، كانت الدعوة إلى بذله في حاجة إلى مزيد من تكثيف الإثارة والتشويق، والتحضيض والتهييج، فجاء نظم الآية على أبلغ ما يكون من خلال: الاستفهام المتضمِّن تلك المعاني في قوله (ﷻ): (من ذا الذي؟)، بالإضافة إلى تفخيم شأن المُستفهَم عنه ومنشأه اسم الإشارة (ذا)، والاسم الموصول (الذي)؛ حيث إنه استفهام عن فاعل الإقراض في سبيل الله، والاستفهام عن الشيء يقتضي -في الأصل- الجهل به؛ لندرته، ومن ثم يكون المعنى: إن هذا العمل العظيم من شأنه أن يكون فاعله نادرًا؛ لقلة فاعليه، وهو لعلو شأنه وعِظَم قدره حقيق أن يُشار إليه، وأن يُتحدث عنه، وهذا مما يُضفي عليه غرابة وعلو شأن، فيكون نتاج ذلك التشويق وتلك الإثارة تَسارُع أصحاب الهِمَم العالية في أن يُحقِّقوا لأنفسهم هذا الوصف(١).

ناهيك عن الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يقرض)؛ حيث شبَّه فيه الإنفاق في سبيل الله (ﷻ) بالقرض المعروف بين الناس، وجعل القرض لله (ﷻ)، والنَّص على التصريح بالاسم الكريم (الله)، دون الاكتفاء بالضمير، فلم يقل (ﷻ): (يقرضني)؛ ليستحضر المسلم المُنفِق في سبيل الله (ﷻ) أنه يُقرض الكريم الذي بيده خزائن السماوات والأرض، فكيف سيكون العطاء والجزاء؟!!، ووصف القرض بالحسن، والإبهام في بيان مقدار تضعيف ذلك الجزاء بوصفه بالكثرة دون تحديد، والترقِّي في الجزاء ومضاعفة العطاء، من المضاعفة أولًا، والتثنية بصيغة الجمع (أضعافًا)، ثم ارتقى ثالثًا بوصف الأضعاف بقوله (ﷻ): (كثيرة)، وتقديم القبض على البسط، كل ذلك وغيره؛ لزيادة التشويق والترغيب في الإنفاق، واستنهاض الهمم؛ لبذل المال في سبيل الله (ﷻ).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢/ ٤٥٩، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ١/ ١٣٢.

المطلب الثاني

التشويق بـ (ما)

ـــ ومن التشويق بـ (ما) الاستفهامية، ما جاء في فاتحة سورة النبا في قوله (ﷻ):

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١].

تُصوِّر هذه الآية الكريمة، ما كان يدور بين مشركي قريش من تساؤلات ومجادلات فيما بُعث به نبينا (ﷺ).

وقد ذكر الزمخشري (رحمه الله) أن المراد بذلك الاستفهام هو تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أي شيء يتساءلون؟، وهو مثل قولك: زيد ما زيد؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره، كأنه شيء خفى عليك جنسه، وأنت تسأل عن ذلك الجنس، وتفحص عن جوهره(١)، وأضاف أبو حيان (رحمه الله) إلى ذلك المعنى، التهويل والتقرير والتعجيب(٢)، أما الطاهر (رحمه الله) فقد جعل افتتاح الكلام بالاستفهام عن تساؤل القوم عن النبأ العظيم، هو استفهام تشويق وتهويل لما سَيُذكر بعده، وقد احتفى بذلك الافتتاح، وعدَّه من الفواتح البديعة؛ لما فيه من تشويق عن طريق الإجمال ثم التفصيل، الذي يُمكِّن الخبر الآتي بعده في نفس السامعين أكمل تمكين، كما عدَّه من براعة الاستهلال؛ لأن الافتتاح يُؤذن بعظيم أمر كان مؤذنًا بالتصدي لقول قاطع فيه، ولما كان في ذلك إشعار بَأهَمِ ما يخوضون فيه يومئذ يجعل افتتاح الكلام به من ذلك القبيل(٣).

وبراعة الاستهلال ممّا يستحوذ على قلب السامع، ويُوقفه على الخطاب المُلقى إليه من أول وهلة، حتى يصل إلى الغرض المُساق له الكلام، وبذلك يتحقّق استماع المتكلّم

---

(١) ينظر: الكشاف، ٤/ ٦٨٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ١٠/ ٣٨٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٦.

وانقياده، واستقرار الكلام في ذهنه. وقد أشار حازم القرطاجنيّ إلى جانب الإثارة والتشويق في بلاغة هذا الفنّ، حيث قال: "ومما تَحسُن به المبادئ أن يُصدّر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أو أن يُشرب ما يُؤثِّر فيها انفعالًا، ويثير لها حالًا من تعجيبٍ أو تهويلٍ أو تشويقٍ، أو غير ذلك"[1].

ولمَّا كان ذلك الاستفهام مستعملًا في غير حقيقته وهو طلب الفهم، حَسُن تعقيبه بالجواب عنه بقوله (ﷻ): (عَنِ النبأ العظيم)، فجوابه مستعمل بيانًا لما أريد بالاستفهام من الإجمال؛ لقصد التفخيم، فبيَّن جانب التفخيم[2].

وإذا كان الغرض من التشويق بالاستفهام هنا هو تفخيم وتهويل الواقع بعده، فقد يأتي الاستفهام التشويقي بـ (ما) توطئة للتذكير والتعجيب والاعتبار مما بعده، كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥].

---

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان)، ص: ٣١٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ٩.

المطلب الثالث

التشويق بـ (كيف)

ـــ ومن الاستفهام التشويقي بـ (كيف)، ما جاء في قوله (ﷻ):﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ [القمر: ١٨، ١٩].

الآيتان هما افتتاح قصة قوم عاد الذين كذبوا نبيهم هود (عليه السلام)، وهم أحد الأقوام الغابرة، التي قصَّ الله (ﷻ) أخبارهم؛ تسليةً لنبينا (ﷺ)، وتهديدًا وتخويفًا لمن أشرك من قومه.

وقوله (ﷻ): (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)، هو تفريع على التذكير بتكذيب عاد، قبل أن يُذكر في الكلام ما يُشعِر بأن الله (ﷻ) عذَّبهم فضلًا عن وصف عذابهم، ومن ثم فإن الاستفهام هنا مستعمل في التشويق وتهيئة النفوس لترقُّب الخبر الوارد بعده، وإلى معرفة كيف كان ذلك العذاب، وتلك النذر، وهو كناية أيضًا عن تهويل وتفظيع ذلك العذاب، كما أن في هذا الاستفهام إجمالًا لحال العذاب، وذلك الإجمال مما يزيد التشويق إلى ما يُبيّنه ويُوضّحه بعده؛ ولذلك سارع النظم الكريم إلى قذف تلك الحقائق التي مهَّد لها، فقال (ﷻ):﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ [1]، إذ لما قام الاستفهام بدوره في تحريك مشاعر المخاطبين، وبث النشاط في نفوسهم جاءت الآية التالية مُفصِّلة للإجمال؛ ليقرَّ في النفس أيّما قرار.

وجاءت الآية مؤكدة للتهويل والتفظيع المستنتج من الاستفهام السالف، وذلك من خلال: توكيد الخبر بإن، واسمية الجملة، وتنكير كلمة (ريحًا) للتهويل والتفظيع، ووصفها بصرصر، أي شديدة الصوت والهبوب والبرد[2]، وإضافة اليوم إلى النحس وهو الشؤم والضُّر[3]، ووصفه بالاستمرار، وتشبيه صرعى القوم بأعجاز النخل البالية، كل ذلك كناية عن شدة النكاية والتنكيل بهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٣٨، ١٨٤، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ٤/ ١٩٧.

(٢) ينظر: لسان العرب، ٤/ ٤٥٠، مادة: (صرر).

(٣) ينظر: السابق، ٦/ ٢٢٧، مادة: (نحس).

المطلب الرابع

التشويق بـ (أيّ)

ـــ ومن الاستفهام التشويقي بـ (أيّ)، ما جاء في قوله (ﷻ): ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٧ : ١٩].

لما دعا رب العزة (ﷻ) على المشركين بالقتل في قوله (ﷻ): (قُتل الإنسان ما أكفره)، وجاء قوله (ﷻ): (ما أكفره)؛ لغرض التعجيب من إفراطهم في كفران نعمة الله (ﷻ)، أخذ النظم الكريم في وصف حال الإنسان من ابتداء حدوثه إلى الانتهاء، فكان قوله (ﷻ): (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)، هو استدلال وبرهان على تقرير البعث والإحياء بعد الموت، وتعريض بهؤلاء المنكرين له، وبغفلتهم عن خلق الله (ﷻ) لهم أولًا[1].

وموطن الشاهد هو مجيء ذلك الاستدلال والبرهان في صورة سؤال وجواب؛ وذلك لغرض التشويق إلى مضمونه، ولذلك قرن الاستفهام بالجواب عنه، في قوله (ﷻ): (من نطفة خلقه فقدره)، وفي هذا بيان لما أُريد بالاستفهام من إجمال[2].

ووازِنْ بين القول الكريم، وبين قولك: (قُتل الإنسان ما أكفره، وهو الذي خلقه الله من نطفة فَقدَّره)؛ لترى ذلك البون الشاسع في الإثارة والتأثير، وكيف أن وقوع الاستفهام في هذا المقام تمهيدًا لما بعده قد بلغ بالتشويق والإثارة في نفوس السامع الغاية القصوى؛ لما في طبيعة أسلوب الاستفهام من جذب وإثارة للانتباه؛ حيث يُحقِّق تلك الفاعلية الحوارية بين المتكلم والمخاطب، فيجعله متفاعلاً مع الكلام، يُقلِّب البصر فيه، ويعرضه على قلبه وعقله؛ كي يصل إلى الحقيقة، وهذا مما لا يقوم به أسلوب الخبر -في مثل هذا المقام-، الذي يجعل المخاطب متلقيًا فحسب، وبذلك طابق الكلام من خلال الإثارة والتنبيه والتشويق

---

(١) ينظر: الكشاف، ٤/ ٧٠٢، ٧٠٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/ ١٠٧.

الذي أثاره الاستفهام، حال أولئك القوم الذين أنكروا البعث، والحياة بعد الموت، فليتأملوا مراحل حياتهم حتى يُدركوا تلك الحقيقة التي لا ريب فيها.

وقد أريد بذلك الاستفهام التشويقي تحقير الواقع بعده[1]، يدلُّ على ذلك تنكير كلمة (شيء).

وقد يراد بالاستفهام التشويقي بـ (أي) تعظيم الأمر الواقع بعده، كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣﴾ [المرسلات: ١٢، ١٣]، يدل على ذلك تنكير كلمة (يوم) الذي أفاد التعظيم والتهويل.

---

(١) ينظر: أساليب الاستفهام في القرآن، ص: ٢٣٥، ٢٣٦.

الخاتمة

بعد تلك الرحلة المباركة في رحاب كتاب الله (ﷻ)، تبيّن للباحث أن الاستفهام التشويقي قد جاء في النظم الكريم بصيغ متنوعة، وفي مقامات مختلفة؛ لغرض تهيئة المخاطب لتلقِّي الخبر المراد، وكان من أبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث، ما يلي:

ـــ أن أشهر أدوات الاستفهام التي جاءت لغرض التشويق، هي (هل)، ثم (الهمزة)، ثم بعض أسماء الاستفهام الأخرى، مثل: (مَن، وما، وكيف، وأي).

ـــ أن أكثر صيغ الاستفهام التشويقي ورودًا في النظم الكريم هي (هل) الواقع بعدها فعل الإتيان؛ حيث وردت في سبع مواضع، ثم (هل) الواقع بعدها فعل الدلالة؛ حيث وردت في أربعة مواضع، ثم (هل) الواقع بعدها فعل التنبيء الذي جاء في ثلاثة مواضع، ثم (الهمزة) الواقع بعدها فعل التنبيء، وذلك في موضعين، وكذلك وردت (الهمزة) الواقع بعدها فعل الرؤية في موضعين –أيضًا-.

ـــ كثيرًا ما يأتي الاستفهام التشويقي بصيغة (هل أتاك) سواءً أوقع بعدها لفظ (حديث) أم (نبأ) في فواتح القصص القرآني، كما ورد في مستهل قصة موسى (عليه السلام)، وفي فواتح السور مثل: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾، و﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾، وهو بمثل تلك الفواتح حقيق؛ حيث يراد به لفت انتباه المخاطب من أول الأمر حتى يتابع الاستماع والإنصات.

ـــ جاء الاستفهام بصيغة (هل أتاك) تشويقًا للحديث أو النبأ الذي يليه؛ للدلالة على أنه مما يُهتم به، ويُصغى إليه.

ـــ مما امتازت به صيغة الاستفهام الواقع بعدها فعل (التنبيء)، أنها وقعت بعد حرفي الاستفهام، (هل)، وذلك في ثلاثة مواضع، و(الهمزة)، وذلك في موضعين وبالموازنة بين التنبيء الواقع بعد (هل)، والواقع بعد (الهمزة)، تجد أن الأسلوب بعد (هل) أطول نفَسًا وأمد نسقًا، وأنه في مقامات الغضب لا يصل في هوله وإرعاده إلى أسلوب الهمزة، وأن ظاهرة القِصر الملحوظ في أسلوب الهمزة عن أسلوب (هل) تجده –أيضًا- في مقامات

الرضا والتشويق، مثل قوله (ﷻ): (قل أؤنبئكم بخير...)، وكذا جاء الفعل (أدل) بعد (هل) ملحوظ فيه الطول[1].

ـــ مما يلحظ في التشويق بالاستفهام الواقع بعده فعل (التنبيء) مجيء أفعل التفضيل في كثير من مواضعه مثل قوله (ﷻ): (بشر من ذلكم)، وقوله (ﷻ): (بشر من ذلك مثوبة)، وقوله (ﷻ): (بخير من ذلكم)، وقوله (ﷻ): (بالأخسرين أعمالًا)، وغير ذلك، مما يدل على اعتقاد المخاطب وإيمانه بخطأٍ واقع فيه، ومن ثم اقتضى المقام مزيد لفت وتنبيه لقلب معتقده وفكره من خلال تلك الاستفتاحات المثيرة بذلك الاستفهام التشويقي الملفت.

ـــ أن الغاية الأولى والأصيلة للتشويق هي تقرير المعاني في نفوس المخاطبين وتثبيتها في أذهانهم، مما يدفع المخاطب إلى الاستجابة، ويُعينه على فعل المطلوب، إن كان طلبًا، ويحمله على التصديق والإذعان إن كان خبرًا.

ـــ أن أشهر الأغراض البلاغية التي عانقت التشويق بالاستفهام العرض، كما في صيغ (هل أدلكم، وهل أنبئكم)، التي تشوّق إلى الأمر المعروض، وكذلك أغراض التقرير، والتعجيب، والتفخيم والتهويل، وغيرها.

ـــ تعددت أغراض الاستفهام التشويقي في السياقات المختلفة فجاءت في أغلب مواقعها للترغيب والحث والإغراء، وجاءت في افتتاح القصص القرآني لغرض الإيناس، وجاءت في مواضع أخرى، في سياق محاجاة أهل الكتاب والمشركين، والردِّ على كذبهم واتهاماتهم الباطلة؛ لغرض التهكم والسخرية من افتراءاتهم، ومن ثم يمكن -بشيء من التسامح- تقسيم التشويق باعتبار غرضه وغايته إلى تشويق مُرغِّب، وهو أكثره، وتشويق مُؤنس، وتشويق ساخر.

ـــ جاء التشويق في بعض مواضعه لما لا يُشوَّق إليه من شر، مثل التشويق إلى النار واللعن والغضب، وكان ذلك على سبيل السخرية والتهكم.

ـــ يأتي التشويق معنى وغرضًا بارزًا في صيغ الاستفهام بـ (هل)، بعدها فعل (الدلالة، والإتيان، والتنبيء)، وكذلك الهمزة الواقع بعدها فعل (التنبيء)؛ لكونها أفعال تدعم معنى

---

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٢٧١، ٢٧٢.

التشويق والإثارة، بينما يأتي غرضًا تابعًا أو مقرونًا بغيره من الأغراض الأخرى في الاستفهام بالأسماء، مثل: (مَن، وما، وكيف، وأي).

ـــ لما كان الاستفهام في شواهد ذلك البحث مستعملًا في غير حقيقته، وهو طلب الفهم، فقد حَسُن تعقيبه بالجواب، سواءً أكان مذكورًا أم مقدرًا.

ومما تُوصي به الدراسة في هذا المقام، مايلي:

ـــ دعوة الباحثين إلى دراسة الاستفهام التشويقي في البيان النبوي، وفي الشعر والنثر، وخاصة فني القصة والرواية؛ حيث يُعدُّ التشويق من أهم المهارات الفنية للسرد القصصي.

ـــ دعوة مصابيح الهدى إلى التأسِّي بأساليب القرآن في دعوتهم إلى الله تعالى؛ فهو كتاب الدعوة الأول، لا سيما تلك الأساليب التي تثير انتباه المخاطبين، وتستميل أفئدتهم إلى طريق الحق والهدى، ومنها الاستفهام التشويقي لا ريب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

- أساليب الاستفهام في القرآن، د/ عبد العليم السيد فودة، (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، د.ط).

- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د/ صبَّاح دراز، (مطبعة الأمانة، مصر، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، د/ الحسين جرنو محمود جلو، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١هـ - ١٩٩٤م).

- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني ، ت: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

- أسلوب الدعوة القرآنية، بلاغة ومنهاجًا، د/ محمد عبدالغني بركة، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط : ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- أسلوبية السؤال، د/ عيد بلبع، (دار الوفاء، المنصورة، ط: ١، ١٩٩٩م).

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، (دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، ط: ٤، ١٤١٥هـ).

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ).

- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، (دار إحياء العلوم – بيروت ، ط: ٤، ١٩٩٨م).

- البحر المحيط، لأبي حيان، ت: صدقي محمد جميل، (دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ).

- البحر المديد، لابن عجيبة، (دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ).

- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د/ عبد العظيم المطعني، (مكتبة وهبة، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، (دار صادر– بيروت).

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، (مكتبة وهبة، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، أ.د/ محمد أبو موسي، (مكتبة وهبة، ط: ٤، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م).

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، (دار الكتب العلمية – بيروت، ط : ١، ١٤١٥هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلويّ، (المكتبة العصرية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٣هـ).

- علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، د/ بسيوني فيود، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم، (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر).

- القاموس المحيط، للفيروزآبادى، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧هـ).

- لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، (دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ).

- المطول، شرح تلخيص المفتاح، للتفتازاني، ت: د/ عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م).

- معجم علم النفس، د/ فاخر عاقل، (دار العلم للملايين، بيروت، ط : ٣، ١٩٧٩م).

- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (دار الكتب العلمية بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ).

- مفتاح العلوم، للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط : ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، (دار القلم - دمشق).

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان).